أبت الجليل بولس عنيد المحترم

كلمة الإنجيل نور وحياة، لم تكن يوما في ذمّة الكاهن، خادم المذبح، ومعطي الأسرار المقدّسة، موضوع نقاش، أو تجربة فكريّة، إنّما وديعة خلاص، ينقلها الى شعب اللّه، ليهتدي فيؤمن، ويعرف فيحبّ، فيسيّر حياته، على خطى المسيح، ابن اللّه المتجسّد ، من مريم العذراء ، سيّدة لبنان.

فهذا ما أردته في كتابك... الذي جمعت بين دفّتيه، تأمّلات وعظات روحيّة، بوّبتها بعمق الإيمان، وقوّة الرّجاء، ولطف المحبّة، فجاءت سهلة المنال، غنيّة في التّعليم.

إنّنا لك من الشّاكرين، متمنّين لهذه المبادرة الرّعويّة ، كلّ النّجاح، ولذا لا مانع من نشرها وتداولها، بين شعب اللّه المؤمن.

عن كرسينا في مونتريال، عيد مار يوحنّا مارون **المطران يوسف الخوري**

في 2 آذار سنة 2000 **راعي أبرشيّة كندا المارونيّة**

من مختارات

الخوري بولس عنيد

كتاب المواعظ الأوّل

- لوصـــــايا اللّـــــه العشـــــر
- ووصـــــايا الكنيســـــة الســـــبع
- وأســـــرار الكنيســـــة السّـــــبعة
- والأســـــرار الإلهيـــــة الثّلاثـــــة
- والفضـــــائل الإلهيّـــــة الـــــثّلاث
- وعواقـــــب الإنســـــان الأربـــــع

والرّياضة الرّوحيّة الأولى والثّانية:

مواضيع الرّياضة الأولى:

وصعد وحده الى الجبل يصلّي.
إنّ أجسادكم هي هياكل الرّوح القدس.
إن لم تتوبوا تهلكوا جميعكم.
احفظ يوم الربّ.
الصّليب قوّة اللّه.
محبّة اللّه.
المسيح قام . حقّا قام.

مواضيع الرّياضة الثّانية:

اعملوا عمل خلاصكم بخوف ورعدة.
إن شئت دخول الحياة فاحفظ الوصايا.
يا بنيّ اهرب من الخطيئة هربك من الحيّة.
جسدي مأكل حقّا ودمي مشرب حقّا.
صليب المسيح خشبة الخلاص.
اذهبي يا ابنتي مغفورة لك خطاياك.
انّه ليس هنا بل قام.

حقـــوق الطّبـــع

كتب المؤلّف المطبوعة:

تاريخ ورابطة آل عنيد – العيشيه – جزين.

مقالات وقصائد، شعريّة نشرت في عدّة مجلاّت.

ملحمة العيشيّه النّثريّة.

ملحمة العيشيّه الشّعريّة.

مراحل درب الصّليب.

لبنان في كندا.

كتاب المراثي.

كتاب المواعظ الأوّل.

كتب للمؤلّف تحت الطّبع:

كتاب المواعظ الثّاني والثّالث.

قصائد زجليّة من الحياة.

ديوان المناسبات الشعريّة.

مدرسة علما الشعب التّكميليّة وجيلها، في سطور.

حياة وأعمال المثلّث الرّحمة المطران يوسف الخوري، راعي أبرشيّة صور المارونيّة، في شعر.

صف واخراج وصورة الغلاف: أولادي
طبع على الكومبيوتر

Software: Microsoft Word Arabic

المقدّمة

مواعظ هي إسهام متواضع، في نشر التعليم المسيحي، الذي وحده يخلّص الكنيسة والعالم، كما قال قداسة البابا، بولس السّادس.

مواعظ لست أفتح فيها وبها، فتحا جديدا، فقد سبقني الكثيرون في كل مكان وزمان، من آباء وعّاظ أفاضل حكماء، أفاضوا وأغنوا الكنيسة بأجيالها، بحيث كانت وما زالت، تعاليم يسوع، خميرة في العجين، لمن يطّلع على عمل اللّه، ويرغب أن يكون له فيه بصمات.

حقائق إيماننا، غذاء روحي دائم، على مائدة الحياة الرّوحيّة، ننتقي منها ما طاب، وعلى قدر ما نعطى من مواهب، نتلمّسها في قلبنا ونجمعها شتاتا، من مصدريها: أوّلا الإنجيل والتّقليد، وثانيا: ممّن سبقونا من علماء روح، شرحوا حقائق إيماننا، على ضوء الوحي والإلهام، لنؤدّي جميعنا، اكليروسا وعلمانيّين، قسطنا في عمل الخلاص

كل تعليم يبتدئ بالإنجيل، وينتهي فيه، فالعمل الرعوي أساسا، صالح للتعمق في حياة المسيح.

بالمخلّص نجسّد إيماننا في يوميّاتنا، على ضوء ما يعمله فينا الروح القدس، الذي يهبّ حيث يشاء، فيغيّر إذ ذاك المؤمن سلوكه، ويعمل بوحي إرادة اللّه.

هـي إذا مواضـيع، تبحـث في وصـايا اللّـه، ووصـايا الكنيسـة، وأسـرار الكنيسـة، وفي الفضـائل الإلهيـة الـثّلاث، وفي عواقـب الإنسـان الأربـع، علـى أن يلـي الكتـاب هـذا، كتـاب آخـر يتضـمّن، عظـات الآحـاد والأعيـاد، والقدّيسـين، علـى مـدار السـنة الطقسـيّة، بمـا فيـه محاضـرات، مواضـيع هـي مناسـبات كنسـيّة طقسـيّة، كـالملح للطّعـام، وكحبّـة القمـح الـتي تطمـر فتمـوت، لتنبـت مـن جديد وتأتي بثمار كثيرة..

مواضـيع اختـيرت مـن الـوحي والإلهـام، للتعلـيم والتربيـة والتّثقيـف، وهـي في الـوقت ذاتـه، أفكـار تطـرح، كالحصـى يرمـى في المـاء، فيؤلّـف دوائـر تتّسـع وتكـبر ثم تكثـر، لتشـيع في العائلـة والمجتمـع، أجـواء الخـير والفـرح والمعرفـة بأسـرار اللّـه، وبالتّـالي هـي نزهـة فكريّـة، نجـني منهـا ثمـار الـرّوح، علّهـا في وسـط ظـلام هـذا العـالم، تضـيء معـالم الطّريـق فتمحـو مـا يشـاء اللّـه مـن كبريـاء وحسـد وشـراهة ودنـس واسـتغلال وعـداء وعنـف وكفـر باللّـه وأنانيّـة، ومـن ثمّ تتفاعـل مـع أفكـار العامّـة والخاصّة فتؤثّر في طباع وسلوك الفرد والجماعة، فينمو الخير ويورق ويثمر.

وهذا ما عناه رسول الأمم بقوله: " اقتدوا بي كما أنا أقتدي بالمسيح ".

صلاة كاهن رعيّة من أجل رعيّته

يا راعي النّفوس الإلهي، الذي تنازلت وسلّمتني قسما من قطيعك، باركني، بارك ابنك البارّ.

تسلّم أنت الرّعيّة، وقدها في سبيلك..

احفظ قلبي طاهرا، مستقيما، مجرّدا، ومضحّيا بكلّ شيء، في سبيل خدمتك، املك عليه تماما، وزيّنه بالفضائل.

اجعلني رجل صلاة، بتقديم جسدك ودمك اليوميّة، وبالاتّحاد بصلاتك الدّائمة.

اجعلني طائعا، لإلهامات روحك القدّوس، في رعاية النّفوس، وقيادتها الى الكمال، صيّرني غيورا، وقوّني على نشر ملكك.

أبعد عنّي حبّ الذّات، والكبرياء، والتعلّق بالمال، والطّموح إلى الكرامة، وحبّ الرّاحة والملذّات.

احمني من الغضب، والضّغينة، والحسد.

علّمني كيف أهذّب الأولاد، وأزور الرّعيّة، وأعزّي الحزانى، وأردّ الخطاة، وأساعد المنازعين.

هبني أن أفهم الضّعفاء، والصّغار، والعمّال، وأن أشجّع الخائفين.

هبني أن أميّز وأختار المجاهدين، وأعلّمهم وأدرّهم وأعضدهم.

هبـني الفطنـة والحكمـة في المشـاريع، والدّرايـة في إرشـاد النّفـوس، والشّـجاعة في العمـل، والوضـوح في التّعلـيم، والرّحمـة والحـزم في الإرشـاد، لأحسـن توجيـه الأخويّـات والحركـات الرّسـوليّة العلمانيّـة والمنظّمات، والدّعوات الكهنوتيّة، لما فيه مجدك وخير النّفوس.

أيّها القدّيس شفيعي، كن أب الرّعيّة الموكولة إليّ.

ويـا أم الـرّاعي الصّـالح، يـا وسـيطة لكـلّ نعمـة، كـوني أمّ الرّعيّـة رعيّـتي، انّي أسـلّمك إيّاهـا، حـتّى إذا خلصنا بسهرك وعنايتك، نجتمع معا في السّماء. آمين.

الفصل الأوّل

عظات في وصايا اللّه العشر

أنـزل اللّـه وصـاياه العشـر، علـى موسـى، يـوم تـراءى لـه علـى رأس الجبـل وصايـا هـي سـور الأخـلاق ، فـردا وجماعـة، لـئن تعـدّاها الإنسـان وتناسـاها، غـدا ذئبـا لأخيـه الإنسـان، وديسـت أقداسه، وامتهنت أخلاقه الكريمة.

الوصيّـــة الأولـــى: "أنـــا هـــو الـــرب إلهـــك، لا يكـــن لـــك الـــه غيري."

الله وحـده مـن أوجـد المخلوقـات، البشـريّة والحيوانيـة والنّباتيـة، والعـوالم الأرضـيّة والسّـماويّة ومـا فوق وما تحت.

هـو الله إذا علّـة العلـل، الـتي يصـدر عنهـا كـل وجـود، فالافتراضـات في مثـل هـذه المعضـلة واهيـة، في عـالم هـو غايـة في النّظـام والجمـال، عـالم لا بـدّ لـه مـن واجـد، إذ لا يمكـن أن يوجـد مـن ذاتـه. " من يفتخر فليفتخر بالرب " يقول رسول الأمم.
لـولا الـوحي الإلهـي والكنيسـة والعقـل، لمـا عرفنـا وجـود اللّـه، قـال الله في سـفر الحكمـة: " إنّ جميـع الـذين لم يعرفـوا الله، هـم حمقـى مـن طـبعهم " وقـال بـولس الرسـول: " فقـد عرفـوا الله ولم يعبدوه، فأسلمهم الله الى شهواتهم ".

الله وحده إذا، كما نردد في قانون الإيمان." خالق السماء والأرض، كلما يرى وما لا يرى."

ببراهين عدة: تنطلق من عرضيّة الأشياء، من كمال المخلوقات، من النظام الكوني، من ميل النفس الطبيعي إلي السعادة، من احتياج البشر إلى شريعة ومشترع، من إجماع الناس على الإقرار بوجود الله، من إقرار نوابغ العالم به . " نؤمن باله واحد "

من هنا تأمرنا الوصية الأولى هذه، بعبادة الله وحده، كما تشير إشارة الصليب، " الإله الواحد آمين " فكم إذا يستحق منّا هذا الإله الخالق، غير المتناهي، وغير المتغيّر، الأزلي، الكائن في كل مكان، الكلي القدرة والقداسة والعدالة والرحمة والمعرفة، والمعتني بخلائقه وأخيرا الفادي الجنس البشري بابنه،

كم يستحق منّا إذا، هذا الإله الواحد، الماثل أمام آذان عيوننا وقلوبنا لنسمعه ونفهمه فنحبّه، ونؤدّي له في كلّ حين:

السجود اللاّئق بعزّته، لأنه بصليب ابنه خلّص العالم.

الصلاة نرفعها بالشكر والحب والرجاء الصّالح، لننتصر على التّجارب وننجو من الشرور. " صلوا ولا تملّوا، لئلاّ تدخلوا في التجارب " من يسأل ينل " قال السيد المسيح.

فلننبذ عنّا كل اعتقاد باطل، وعبادات وثنيّة، ولنهتف " لقد آمنت بك وحدك يا رب، فزدني أيمانا " آمين

الوصيّة الثّانية: "لا تحلف باسم اللّه بالباطل."

من بين كل شعوب العالم، اللبنانيون أكثر الناس استعمالا، لكلمة الله والحلف باسمه، سواء كانت الأمور جدّيّة أم تافهة، وكلمة الله أعتق كلمة عرفها الوجود، يستعملها الجميع على مختلف مذاهبهم ومشاربهم، وفي كل مكان وزمان، وبحرّيّة مستغربة أحيانا، ممّا يقلّل من احترامنا للّه عزّ وعلا.

هنا يتبادر إلى الذهن، موضوعنا، عمّا خصّ الحلف بالباطل، إنّنا من بلد، تردد في أرجائه السيد المسيح، وولد على مقربة منه، فكم يجدر بنا أن نرتفع، كلما تلفّظنا باسم الله، عن سطحيّتنا وتفاهتنا ولا مبالاتنا، بعلاقاتنا فكريّا وحياتيّا مع الله.

حذار إذا أن ننطق باسم الله بخفّة وبدون انتباه، ليس فقط باسمه تعالى وحده، بل أيضا باسم العذراء والقدّيسين، أو أن نجدّف ونشتم ونلعنه تعالى، جاهلين فضله ونعمه علينا، كأنّه غير موجود، وبهذا نزيحه عن عرش مجده، نحن الذين لبسناه بالعماد، لندخل بدلا منه إلى قلوبنا، ألف صنم، ولنستضيف مكانه، اللاّمبالاة والأنانيّة وحب المال والطمع.

لنعرف شرفنا، وأبناء من نحن، ولنجدّد بالله عزيمتنا، معتمدين الصدق والاحترام اللاّئق للعزة الإلهية، ملتزمين بوفاء نذورنا المكنة أدبيّا.

والالتزام بها، دون تحمّل مشقّة باهظة، فالله القدير والمتعالي، لا يسمح باتخاذ اسمه بالباطل،، حتى ولو صدقا، إلاّ في حال فضّ مشكلة بين النّاس، وإذا اقتضت، فبمنتهى

الخشـية والخشـوع أمـام الله يقـول النـبي ارميـا للشـعب علـى لسـان الله: " وان حلفـت حـيّ هـو الربّ، بالحق والعدل والبر، تتبارك الشعوب به، وبه يفتخرون "

قـال يسـوع في إنجيلـه: " لا تحلفـوا البتّـة، لا بالسـماء، لأنهـا عـرش الله، ولا بـالأرض لأنـها مـوطئ قدميـه، ولا بأورشـليم لأنّهـا مدينـة الملـك العظـيم، ولا تحلـف برأسـك، لأنـك لا تقـدر أن تجعـل شـعرة واحـدة بيضـاء أو سـوداء، بـل لـيكن كلامكـم نعـم نعـم، ولا لا، ومـا زاد علـى ذلـك فهو من الشرّير. "

إنّنـا نعـدك يـا ربّ، بـأن لا نـتلّفظ باسمـك بـاطلا، علّمنـا أن نحـترم هـذا الاسـم، وأن نلفظـه كمـا يلـزم ويليـق، وأن نعـيش كمـا يجـب، مـن وحـي إيماننـا بـك. لأنّ الإيمـان بـدون حيـاة، زهـرة اصـطناعيّة تفتقـد العطـر، وأنـت يـا رب عطرنـا، نقّنـا بـالاعتراف النّقـي، واغفـر لنـا خطايانـا بـدم المسـيح ابنـك، لتصـوغ منّـا خليقـة نقيّـة جديـدة، واسـقنا دائمـا منـك كـي لا نيـبس، وكـي نبقـى زهرتك الطبيعيّة الفوّاحة. آمين.

الوصيّة الثّالثة: "احفظ يوم الرب (أي أيّام الآحاد والأعياد)."

أن نكرّس لخدمة الرب يوم راحة، شريعة طبيعيّة، فإذا كنّا بإكرام نكرّس أعيادا وطنيّة لشهداء الوطن، ولتذكاراتنا الوطنيّة، وأيامنا المشهودة عالميّا، فكم أحرى بنا أن نكرّم الله وقدّيسيه.

لقد عيّنت الكنيسة، في العهد الجديد، يوم الأحد، للحفظ والتّقديس بدلا من يوم السبت القديم، تيمّنا بيوم قيامة الرب، اليوم الذي قام به المسيح، منتصرا على إبليس وجهنّم والخطيئة، اليوم الذي تمّم فيه فداءنا، وأكمل خلاصنا، وجلب لنا الحياة الأبديّة.

قيامة المسيح إذا في أوّل الأسبوع، أدخلت عهدا جديدا، في تاريخ البشر فجميع الظّهورات، وانسكاب الروح القدس، واجتماع الرسل والتلاميذ للعبادة، كانت كلّها في أوّل الأسبوع، وهذا يشير إلى الحقيقة، التي لا تقبل الجدل، أنّ السّبت قد استبدل بيوم الرب، أي أوّل الأسبوع، يوم الأحد.

حفظ يوم الرب، اقتبسته الكنيسة، من العهد القديم ومن شريعة موسى القائلة: " اذكر يوم الرب لتقدّسه، ستة أيّام تعمل، وتصنع جميع عملك وأمّا في يوم الرب، فلا تصنع عملا ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك، الذي داخل أبوابك، لأنّ في ستة أيّام، صنع الرب السماء والأرض والبحر، وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم الرب وقدّسه. "

إذا علـى المسـيحي، أن يمتنـع عـن الأشـغال، فيهـتم بنفسـه، يـوم الأحـد، مـرة في الأسـبوع، تجديـدا لقـواه الجسـديّة والروحيّـة، ممتنعـا عـن الأشـغال الخدميّـة، وكـل المهـن المشـابهة، دون مـا هـو مـن قبيـل التّسـلية والمحبّـة والضـرورة، مـع الالتـزام بالاشـتراك بالذّبيحـة الإلهيـة، ومناولـة سـر القربـان الأقدس.

فلنـنعش فينـا روح العبـادة والتكـريس، ليـوم الـرب المقـدّس، لنحصـل علـى السـلام والقداسـة، ولنردّد مع رافائيل الملاك أبدا ودائما: " طعامنا وشرابنا غير منظور."

الوصيّة الرّابعة: "كرم أباك وأمّك فيطول عمرك."

يقول اللّه في الوصيّة الرابعة من وصاياه: " أكرم أباك وأمّك، لكي تطول أيّامك على الأرض، التي يعطيك الرب إلهك."

تشتمل الوصيّة هذه، على واجبات الآباء نحو أولادهم والرؤساء نحو مرءوسيهم وبالعكس، وبالتالي عن علاقة هؤلاء جميعا ببعضهم.

واجبات الآباء نحو أولادهم، تلزمهم بالسهر على حياتهم وتهيئة مستقبلهم بحب وحنان، وتربيتهم روحيّا وجسديّا، لغرس الفضيلة في أخلاقهم، وتقويم ما اعوجّ من طباعهم، وتصويب عشرتهم، وتحريضهم على التقوى والعبادة، لممارسة الأسرار الإلهية، عملا بوصيّة اللّه القائلة: " أيّها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلاّ يفشلوا ...

وبما أنّ الآباء علّة البنين وأسيادهم، بعد الله، على البنين أن يؤدّوا لهم واجبات: المحبّة والاحترام والطّاعة، وهذا أمر سماوي، الله يأمر ونحن نطيع، ولكونها وصيّة إلهية، فهي ذات أهميّة كبرى بين الأبناء كافّة، ودليلنا دائما، وصيّة اللّه التي تقول لنا:" أيّها الأبناء أطيعوا والديكم في الربّ "، لكن كم من آباء كثيرين، في هذه الأيام يتألّمون ويتأفّفون، من أولادهم العصاة، الذين راحوا يخطّطون لأنفسهم، ما يشبع نهمهم من حرّيّة وإباحيّة، يتميّز بها جيلنا الحاضر.

وصف سليمان الحكيم هذا بقوله: " جيل يلعن أباه ولا يبارك أمّه، جيل طاهر في عيني نفسه، وهو لم يغتسل من قذره. " فالتمرد ضد الأهل والسلطات، والشعور بالغرور والاعتزاز

بـالنّفس، واحتقـار الجيـل المتقـدّم سـنّا، والتغـنّي بالحرّيّـة، وعـدم تقبّـل النّصـائح والإرشـادات أمـر مخيف ، يثير الدهشة ويحز في القلب، ويدعو للأسف.

لـولا الوالـدان لمـا كـان للأبنـاء مـن وجـود، فمعهمـا تنشـأ أوّل علاقـة لـلأولاد، مـن أجـل هـذا أمـر اللّـه، بمحبّـة الوالـدين واحترامهمـا، عمـلا بوصـيّة الـربّ الرّابعـة هـذه، فـالخروج عـن هـذه الوصـيّة شـذوذ، والابـن العـاق ملعـون، لأنّـه يسـتخفّ بأبويـه، قـال سـليمان الحكـيم في سـفر الأمثـال: " العـين المسـتهزئة بأبيهـا والمحتقـرة، إطاعـة أمّهـا تقوّرهـا غربـان الـوادي، وتأكلهـا فـراخ النسـر، لهـذا كـان إكـرام الوالـدين ولا يـزال، باعـث نجـاح للأبنـاء روحـي وعملـي، وخـير مثـل لـذلك، هـو أنّ القدّيس أغوسطينوس في فترة ضلاله، كان مدينا لدموع أمّه، القدّيسة مونيكا

لقـد أصـبحت كلمـة " يـا رضـى الله ورضـى الوالـدين " مبتذلـة لكثـرة ترددهـا وكثـيرا مـا يظهـر الكثـير مـن الأبنـاء عكسـها، يبغضـون والـديهم، يشـتهون لهـم الضـرر، يغضـبونهم، وينكّـدون علـيهم عيشـهم، بعنـادهم وسـوء سـيرتهم، والتمـرّد علـى أوامـرهم واحتقـارهم، سـيّما في سـنّ الشّـيخوخة، ونصيحـة سـليمان الحكـيم هـي: " اسمـع لأبيـك الـذي ولـدك، ولا تحتقـر أمّـك إذا شاخت. "

مـن جهـة ثانيـة، قصـد الله مـن هـذه الوصـيّة، الآبـاء الـذين يخافونـه، ويسـلكون في فرائضـه ونواميسـه، حسـب قـول الرسـول للأبنـاء، أيّهـا الأولاد، أطيعـوا والـديكم في الـرب ... ثم يتوجّـه إلى الآبـاء فينصـحهم ألاّ يسـاوموا في المبـادئ الأدبيّـة، إرضـاء لأولادهـم، قـائلا: " وأنـتم أيّهـا الآبـاء لا تغيظـوا أولادكـم، بـل ربّـوهم بتأديـب الـرب وإنـذاره ". وهكـذا يصـبح بنونـا، مسـكنا للروح القدس، تقودهم قوّة وحكمة الله وترشدهم إلى الطّاعة، واكرام من هم علّة وجودهم.

إن أردنا أن نكرّم والدينا، وأن نعيش طويلا بسعادة حقيقيّة، فلنأت إلى الله، لينقّي قلبنا من خطايانا، ويطهّر حياتنا بدم ابنه الثّمين، ومحبّة قلبه الأقدس، باعترافنا وتناولنا سر المحبّة، فهو وحده الطريق والحق والحياة وفيه السعادة الحقيقيّة، دنيا وآخره. آمين.

الوصيّة الخامسة: "لا تقتل."

تعـدّى أبوانـا الأوّلان، آدم وحـوّاء، وصـيّة الله، بأكلهمـا مـن الثّمـرة المحرّمـة، فطردهمـا مـن الفـردوس، وإذ ذاك دخلـت الخطايـا إلى العـالم، بمـا فيهـا القتـل، يـوم قتـل أحـد الأبنـاء قـايين، أخـاه هابيـل، نتيجـة حقـده عليـه لأن الله قبـل قرابينـه، ولم يـرض بتقدمـة أخيـه قـايين، فتفشّـت حينئـذ خطيئـة القتـل في العـالم، وبمـا أنّ الله لا يرضـى بالخطايـا، نهـى عـن هـذه أيضـا بقولـه: لا تقتل. (خروج 30: 13)

نفـخ الله في أنـف الإنسـان الحيـاة، لـذلك لـه وحـده فقـط أن يسـتردّها، ويضـع حـدّا لهـا، متى وكيـف شـاء، فمهمـا كانـت الأسـباب والمـبرّرات للقتـل، لا يحـق لأي إنسـان، أن يقتـل أو يعتـدي على أخيه الإنسان.

حياتنـا إذا ليسـت لنـا، فـإذا تملّصـنا منهـا بالانتحـار أو قتلنـا غيرنـا، لأي سـبب عـالمي تافـه، أيّـا كـان، أجرمنـا بحـق الله وذواتنـا والهيئـة الاجتماعيّـة ووالدينـا وجدّفنـا علـى الـروح القـدس، وحرمنـا من الدّفن الكنسي عند الانتحار.

نخـاطر بحياتنـا فقـط، مـن قبيـل الواجـب والمحبّـة، دفاعـا عـن الـوطن والأبريـاء والـذّات وفي سـبيل خدمـة النّفـوس، شـرط أن تكـون هنـاك حجّـة كافيـة وبعـد بـذل جميـع الوسـائل، وهنـا كـم يجـب أن نلتجـئ، إلى مخـدع القلـب، كمـا يقـول كتـاب الاقتـداء بالمسـيح " ملتمسـين النـور مـمن هـو النّور لئلاّ نغوى بأقوال معسولة وأفكار منقولة، فنحلّل ما حرّمه اللّه.

قال السيد المسيح: قد سمعتم أنّه قيل للأوّلين: لا تقتل، فانّ من يقتل يستوجب حكم القضاء، أمّا أنا فأقول لكم: من غضب على أخيه باطلا، استوجب حكم القضاء، ومن قال لأخيه يا أحمق، استوجب حكم المجلس ومن قال له يا جاهل، استوجب نار جهنّم،
(متى 21. 25).

وقال لبطرس: " اغمد سيفك، فكلّ من يأخذ بالسّيف بالسّيف يهلك "
(متى 26 : 52)

قال الرسول بولس: " لا تنتقموا لأنفسكم أيّها الأحبّاء، بل أفسحوا في المجال للغضب. "
وقال الرسول يوحنّا: "كلّ من أبغض أخاه فهو قاتل وتعلمون أنّ ما من قاتل، له الحياة الأبديّة مقيمة فيه"(رسالة يوحنّا الأولى: 5 / 24)

وعليه فوصيّة " لا تقتل " لا تنهى فقط عن إلحاق الضرر والأذى بجسد الإنسان وحسب، بل تحثّنا على حفظ حياته، وعدم المس بشخصيّته وكرامته، وتنهانا عن الغضب الباطل والظنّ بالسّوء وإضمار الحقد، إلى أيّ من اخوتنا في الإنسانيّة .

لندع الانتقام والمجازاة، لمن له سلطان الحياة والموت، ولمن أحصى شعور رؤوسنا، حتّى لا تسقط واحدة منها إلاّ بإذنه. آمين.

الوصيّة السادسة: " لا تزن."

كل وصايا اللّه تعني: التعدّي على الآخرين، بينما لا تزن تعني: لا تتعدّى على نفسك، لهذا حرّم اللّه الزنى، تحريما قاطعا، لسببين:

أوّلا: لأنه خلق الإنسان، على صورته ومثاله للقداسة.

وثانيا: لأنه جعل منه مسكنا للروح القدس، وقال لجميع النّاس، كونوا قدّيسين، كما أني أنا قدّوس هو.

من المعلوم أنّ الله خلق الإنسان، ذكرا واحدا وأنثى واحدة فقط، وعليه فالوصيّة هذه، تشمل الجنس البشري بمفعولها، قبل وبعد الزواج، فالعلاقة الجنسيّة، لا تحقّ إلاّ عند الزّواج الشرعي، والزنى في هذه الحال هو التعدّي على الذات، وعلى حقّ الواحد نحو الآخر، بمعنى أنّ الله جمع اللذّة الفكريّة أو الحسّيّة لفعل الزّواج، فإذا تمتّع الإنسان بهذه اللذّة خارج الزّواج، خالف إرادة الله وقلب نظامه، وتلاشت غاية نمو الجنس البشري، وتفكّكت الروابط والمبادئ الأخلاقيّة، للعفّة والطّهارة وأصبحنا عبيدا لشهواتنا الجسديّة، وغرائزنا الحيوانية، وفقدنا الحس والحياء، وتعرّض مجتمعنا، إلى أمراض تناسليّة خبيثة، فنحصد ما زرعنا ...

لهذا كان انتقام الله، ممن يتبعون شهواتهم هائلا، فقد ضرب قديما صادوم وعاموره المدينتين، بالنّار والكبريت، ومحاهما من الوجود، لأنّ شعبهما، زاول خطيئتي الزنى واللّواط .

على أنّ نتائج هذه الرذيلة: نخس الضمير، والقلق الفكري الدّائم،

وعمى القلب وقسوته، وخسارة الصيت الحسن، وفقدان الإيمان والتمرّغ بالأوحال، فلا نصح يردع، ولا راحة قلب، بل خسارة مال وصحّة وأمراض زهريّة، وأخيرا خسران السّماء، التي لا يدخلها شيء نجس.

الجدير بالذكر هنا، أنّ اللّه لتحصين الطّهارة، حرّم لا فعل الزنى المكتمل جنسيّا فقط، بل الشّهوة الفكريّة، التي هي زنى غير منجز أيضا، إذ قال: من نظر إلى امرأة واشتهاها، فقد زنى بها في قلبه وقال رسول الأمم: لا تضلّوا، فانّه لا الزّناة ولا الفاسقون ولا مضاجعو الذّكور ... يرثون ملكوت اللّه.

من هنا، ينبغي أن تكون الأسرة، أوّل مدرسة للآداب، وتعليم المبادئ المسيحيّة النقيّة، ثم المدرسة، ثم المجتمع المترصّن والمحافظ ...
أمّا أسلحة المقاومة لهذه التّجربة فهي:

الابتعاد عن الأسباب، فمن أحبّ الشرّ باد فيه، وهنا حذار أن نجرّب اللّه لنتلافى الخطر.

علينا أن نكبح حواسنا، سيّما حاسة النّظر، بالتلهيّ بأمور تنسينا الخيالات الجامحة، والأوهام الشّيطانيّة المدنّسة.

التسلّح بالصّبر والرّجاء باللّه، والمواظبة على اقتبال سر القربان الأقدس ثم الالتجاء إلى الله والتعبّد للعذراء مريم أمّ الطّهارة، والانضواء لأخويّاتها، والاقتداء بفضائلها.

بهذا فقط نطهّر عقولنا وأفكارنا وحواسّنا ورغباتنا.

2

الوصيّة السّابعة: "لا تسرق."

للّه وحده الملك، لأنّه وحده من سنّ نظام المجتمع، فحقّ الملك هو الموروث، أو النّاتج من عرق الجبين، لهذا شجبت الكنيسة المذاهب الاشتراكيّة والشّيوعيّة، المناهضة حقّ الملك الفردي، وعليه نأثم ضد العدل، كل مرّة نختلس مال الغير، أو نضرّه، " لا تغفر الذّنوب ما لم يردّ المسلوب ".

من هنا رتّب الله أن يكون لكل إنسان، ملك خاص يحدّده القانون، مانعا التطاول على ما ليس من حقّه، وهذا ما عناه السيّد المسيح بقوله "كما تريدون أن يفعل النّاس بكم، افعلوه أنتم بهم "

مظاهر السرقة تتنوّع: فهناك من يجني أشياء بصورة غير شرعيّة، وهناك من يستخدم وظيفته لمصالحه الخاصّة ومن يختلس الوقت ومع ذلك يتقاضى أجرته، وكم من أغنياء يأكلون حقوق الفقراء، بطمعهم ونهمهم وجشعهم، ومنهم من يستغلّون أمر الودائع وثقة النّاس بهم، فيماطلون ويتهرّبون عن رد الأمانات لأصحابها أو يمتنعون وما قولنا بالرشوة الدنيئة في تخليص قضيّة، كلّ هذا يعوّج القضاء ويخدّر الضّمير، فيبرأ المذنب ويجرّم أو يقتل البريء.

الغرابة هنا أننا نصل، آجلا أو عاجلا إلى مجتمع فاسد متفكّك، كما أعلن الله في كتابه، بلسان سليمان الحكيم: البرّ يرفع الأمّة وعار الشّعوب الخطيئة، وقال صاحب كتاب الاقتداء بالمسيح: الناس يزولون، أمّا صدق الرب، فيدوم إلى الأبد.

لنلتجئ إلى من هو الحق والغنى كلّه، المسيح الكلمة، من سفك دمه الثّمين ليخلّصنا من شناعة الخطيئة، بما فيها السرقة، ليحرّرنا من سطوة إبليس، ويمدّنا بروح القناعة والرّضا، معتمدين على عمل أيدينا الشريف لنأكل كما أوصى الله آدم الأول أبينا، خبزنا بعرق الجبين لا بالتحايل على الحياة، واعوجاج الطرق، فنغدو أشخاصا صادقين نز هاء وشرفاء. آمين.

الوصيّة الثّامنة: "لا تشهد بالزّور."

قال الله في كتابه القديم: لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يغدر أحدكم بصاحبه وقال الرسول بولس: لا تكذبوا بعضكم على بعض.

فإذا كان الصدق فضيلة سماويّة، تعكس شهادة الزّور، كم يحتاجها عالمنا اليوم، ومجتمعنا الهزيل، كما قال آشعيا: تعدّينا وكذبنا على الرب وحدنا، من وراء إلهنا، حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب وقد ارتدّ الحق إلى الوراء، والعدل يقف بعيدا، لأنّ الصدق سقط في الشّارع، والاستقامة لا تستطيع الدخول، وصار الصدق معدوما فرأى الرب، وساء في عينيه، أنّه ليس عدل، وأنّنا جعلنا الكذب ملجأ لنا.

كم من شهادة كاذبة، دمّرت ممالك، وبدّلت حقائق، وجعلت الحلو مرّا والمرّ حلوا، بتحطيمها بيوتا، وتشريدها عيالا، فشلّت الضّمائر، بترويجها للباطل، مخالفة الشّرائع الأرضيّة والسّماويّة.

خطيئة قبيحة الأخبار الملفّقة، وغير الصّحيحة، أكانت فما لفم، أو عن طريق الإعلام المرئي أو المسموع، بغية قلب الحقائق، أو إنقاذا لموقف أو تبرئة للذّات، وهنا تحضرنا في إنجيل يوحنّا، الفصل الثّامن الآية التي وجّهها يسوع لذرّيّة إبراهيم، الذين ادّعوا أنّهم عرفوا الحق قال " أنتم أولاد أبيكم إبليس، الذي لم يثبت على الحقّ، لأنّه كذّاب وأبو الكذب "

بشهادة الزور أغوى إبليس، أبوينا الأوّلين، فسقطا في الخطيئة، فلنعتصم بحبل الصدق، تشبّها بمن هو الصدق والحق والحياة، آمين.

الوصيّة التّاسعة: "لا تشته امرأة قريبك."

قال السيد المسيح: " من نظر الى امرأة واشتهاها، فقد زنى بها في قلبه." سراج الجسد العين، فان كانت عينك شرّيرة، كان جسدك كلّه مظلما " فإذا عثّرتك عينك، فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كلّه في جهنّم. "

هذه الصورة المعبّرة، تلاحظ تحريم الشّهوة والزّنى، تحريما كلّيّا وبالتّالي فالزّاني والشّهواني، عاقبته الغضب الإلهي والجحيم، لهذا عندما نظر أبوانا الأوّلان، آدم وحوّاء، إلى الشّجرة التي نهاهما الله عنها فاشتهياها سقطا في الخطيئة، وجلبا الويل على نفسيهما وعلى الجبلة البشريّة بكاملها.

تعلّمنا هذه الوصيّة، أن نتجنّب كلّ خطيئة ضدّ الطّهارة، بحيث نستخدم جسدنا كما أراد الله، في الزواج: ايلاد البنين وإطفاء الشّهوة، لأنّنا اشترينا بدم المسيح، وأجسادنا هي هياكل الروح القدس، فإذا سعينا وراء لذّة الجسد، وقبلناها خارج الحياة الزّوجيّة اقترفنا رذيلة الدّعارة، وهنا تحتّم علينا، أن نبتعد عن أسباب التّجربة، وأن نضبط حواسّنا بالحشمة المسيحيّة، وأن ننظر إلى أمور الجسد، كما ينظر الله إليها، ونعترف اعترافا مخلصا عند الحاجة، ونتناول جسد الرب، ونتعبّد للعذراء أم الطّهارة وإذ ذاك نتغلّب كيسوع على التّجربة، يوم غلب المجرّب بطاعته للآب، فنربّي الطّهارة فينا، بتعوّدنا النّظر الصّافي إلى الجسد، وقهرنا ميولنا الغريزيّة.

الزواج الماروني، هو كما يرمز إليه الخاتم، الخاتم الحصن والسّور باستدارته مطلق الوفاء والأمانة، " لا تخرجون منه، ولا يجوز لثالث الدّخول إليه.

وهنا نخلص إلى القول: لا تقف الشّهوة فقط، عند حدود امرأة القريب بل تتعدّاها إلى الطّمع في الامتلاك والتوسّع في الاقتناء، فتدكّ الأخلاق وتحطّم الشخصيّة الإنسانيّة ثمّ تولّد أبناء غير شرعيّين، وماذا عن الحسد والحسود الذي لا يسود، بينما التّقوى مع القناعة، هي تجارة عظيمة، وعليه ينذرنا الكتاب المقدّس قائلا: " إنّكم تعلمون، أنّ كلّ زان أو نجس أو طمّاع، أو عابد للأوثان، ليس له ميراث، في ملكوت المسيح واللّه.

حتّى لا تصبح الشهوة، جزءا من كياننا، علينا أن نحترم، كرامة القريب ونحبّه محبّة خالصة من كلّ غشّ، بهذا تسلم حياتنا الرّوحيّة والأدبيّة، ويحرّرنا من خطايا، من هو البارّ القدّوس، بالهام الروح القدس، وممارسة الأسرار، واقتناء الفضائل الإلهيّة، وعندئذ فقط تنتظرنا النصرة والحرّيّة، ويلتفت إلينا المسيح، كما التفت إلى المجدليّة في الإنجيل، قائلا لها: " اذهبي ولا تعودي تخطئين...!

الوصيّة العاشرة: "لا تشته مقتنى غيرك."

قال اللّه في كتابه الكريم: " لا تشته بيت قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا امرأته ولا ثوره ولا حماره، ولا شيء ممّا هو له."

كالدخان يبيد أغنياء هذا الدّهر، فما نفع اشتهاء المال إذا، ما دام لا يبقى ذكر للأفراح المنقضية لمثل هؤلاء، ولن نتمتّع باللّذّات، إذا انقدنا لها، على خلاف التّرتيب، من غير خزي ومرارة.
بهذه الوصيّة النّاهية، حتّم الله علينا، أن نقتنع بما هو لنا، وأن ننتفع بما هو من تعبنا، وعرق جبيننا، فهذا وحده يحقّ لنا.

إنّ حقّ المستولي أولى، فإذا اشتهينا ما ليس لنا، ولّدت الشّهوة هذه، خطايا عديدة، وأودت بنا إلى شهوة التملّك، وعشق الجنس، والرغبة في المقتنيات، وهكذا تقودنا هذه الرّغبات الجامحة، إلى التعدّي وسلب حقوق القريب الأساسيّة، فنتعرّض لمخالفات، تودي بنا إلى انتهاك شريعة الله، وشرائع الأرض الطّبيعيّة، المنبثقة عن شرائع السّماء

كل إضرار بالغير، لناحية التعديّ على ملكه أو صيته، بمعنى الاشتهاء الملموس مادة، يوجب التعويض بنوعيّة الضّرر أو بمثله، وإلاّ فلا مغفرة على أنّ الظّروف والنّيّة والضّرورات القصوى وفاقة المضطرّ تكيّف قاعدة الضرر، فيما إذا كان خطيئة مميتة أو عرضيّة، وهنا يستشار المعرّف واللاّهوتي الأدبي، لتحديد مدى المخالفة، والتعويض كما أسلفنا.

أعطنا يا رب نعمة القناعة الروحيّة، وأبعد عنّا ما يثير فينا، شهوة الاقتناء المحرّمة، لنعمل ما يفيد النفس، فكل ما تحت الشمس، من مقتنيات باطلة ولزمان، أما أنت القائل: ماذا يفيد الإنسان، لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟

بهذا نتأكد أنّ العظيم حقّا، كما يقول كتاب الاقتداء بالمسيح، من اكتفى بما منحه الله، وكانت محبته عظيمة، ومن كان صغيرا عند نفسه، وحسب كل ذرى المجد، كلا شيء. آمين.

الفصل الثاني

وصايا الكنيسة السبع

الوصيّة الأولى: " اسمع القدّاس أيّام الآحاد والأعياد المأمورة " .

أشرف مظاهر العبادة للّه، هو القدّاس الإلهي، الذّبيحة والذّكرى والسرّ، انّه تجديد لذبيحة الصّليب بشكل غير دموي.

هو يسوع إذا، المقرّب والقربان، بينما الكاهن، وكيل المسيح، وهو يعيد الذّبيحة، عن الشّعب المسيحي الجديد، ككهنة النّاموس القدامى، الذين كانوا باسم الشّعب القديم، يقدّمون الذّبيحة الدمويّة

الفصح عند الإسرائيليين قديما، كان رمزا للذبيحة الجديدة، هذه الذّبيحة التي نشترك بها، عن طريق تناول القربان، لنكرّم اللّه، ونفرح الملائكة ونبني الكنيسة، ونمدّ الأحياء بالمعونة والمغفرة، والأموات بالرّاحة، وننال نصيبنا، من كلّ الخيرات الرّوحيّة.

والقدّاس سرّ يتحدنا باللّه وبمسيحه، فنحصل بتناولنا السرّي، على فيض من النعمة الإلهيّة، ونجني أشهى ثمار الخلاص.

هذا السرّ، هو ذبيحة دائمة عنّا، وهنا تظهر محبّة اللّه بأجلى تعبير، فان كان بذل الذّات، مرّة واحدة عن الأحياء، لا يكون حبّ أعظم منه، فكيف بذل الذّات، كلّ يوم وفي كلّ مكان، لا عن الأحياء فقط، بل عن الأعداء، ولهذا كانت الذّبيحة أكبر محرّك، لإنعاش الرّجاء في قلوب المؤمنين.

رسم السيّد المسيح سر الأوخارستيّا، تجديدا لذكرى آلامه وموته. " اصنعوا هذا لذكري " وقد كتب القدّيس بولس الرسول لأهل كورنتس: " إنكم كلّما أكلتم من هذا الخبز، وشربتم من هذه الكأس، تخبرون بموت الربّ، إلى أن يأتي."

لما كان لا يمكن للسيّد المسيح، أن يضحّي بذاته على الصّليب، أكثر من مرّة، شاء أن يضحّي ذاته، وفي كلّ مكان وزمان، لأجل البشر، بتجديد سر القربان، مفاعيل وثمارا، بشكل غير دموي، وهي تضحية لا تدرك وبالتّالي لم يسمع أحد قط، اختراعا كهذا، أن يسفك أحد دمه لأجل أعدائه.

لقد أحبّنا السيّد المسيح حبّا، لا يمكن تصوّره، فلنقابل حبّه بالشّكر، والانتباه والاحتشام ونقاوة النّظر وصفاء الفكر، عارضين في القدّاس احتياجاتنا واحتياجات أقاربنا والخطاة والأنفس المطهريّة الرّوحيّة والزّمنيّة لما فيه مجد الله وخلاص نفوسنا. آمين.

الوصـــيّة الثّانيـــة: " صـــم الصّـــوم الكبيـــر وســـائر الأصـــوام المفروضة ."

الوصيّة الثّانية، هي شريعة كنسيّة، موضوعها الصّيام، وتختلف حسب الطّقوس، ومقتضيات المكان والزّمان، لأنّ الغاية من الصّيام، تقديس النّفوس، والكنيسة هي المحافظة على الوحي، والعاملة على تقديس النّفوس، ولها وحدها حق التفسيح والالتزام بالصّيام لأسباب وجيهة، فاللّه لا يحمّل نفسا فوق طاقتها.

أيّام الصّوم، لا نقضها كغيرها، في خلالها نحصل على نعمة اللّه، نتمثّل بمن هو نور العالم، الطّريق والحقّ والحياة، فالصّوم غذاء للنّفس بالتمرّس على قهر الخطيئة، وعلى الصّبر والصّلاة والإماتة والبرّ، الذي هو من الإيمان، والانتصار على التّجارب، وهو غذاء للجسد أيضا، بالمحافظة على الصّحّة والرّاحة البدنيّة، وذلك بالاعتدال في المأكول والمشروب.

خلال الصّوم، يرفّ روح اللّه حوالينا، ويد المخلّص الفادي تقرع قلبنا، وصوت الضّمير الحيّ يدوي داخل نفسنا.

لنفكّر في حياتنا المسيحيّة، وحياة مسيحنا.

لنفكّر خصوصا في صوم القدّيسين، الذين كانوا مثلنا من لحم ودم.

لنعد بالذّكرى إلى آبائنا، في الجبل المقدّس لبنان، والى أجدادنا الذّاهبين، الذين كانوا يقدّسون صومهم، بتقشّفهم وانقطاعهم حتّى عن البياض والزّيت.

نحن أبناء وطن تردّد اسمه، عشرات المرّات في الكتاب المقدّس ما عساه يكون صومنا؟

لننقطع عن الشّهوة، عن الطّمع، عن الملاهي.

لنأخذ نفسنا بالشدّة، لنكثر من الذّهاب إلى بيت اللّه، وتذوّق الطّقوس الخاشعة.

إذ يبدأ الصّوم المقدّس، باثنين الرّماد، يرشّ على جباهنا كمؤمنين، نتذكّر فناء هذه الحياة، مردّدين حكم اللّه على أبينا الأوّل آدم: " انّك من تراب والى التّراب تعود ".

لهذا من واجبنا، كمسيحيّين في هذا الصّوم، أن نعود إلى نفوسنا، ونفحص ضمائرنا هل نمجّد اللّه بلساننا وأفكارنا وأعمالنا، أم نحدّف عليه، متمرّدين على وصاياه.

علينا في هذا الصّوم، أن نزداد حبّا ومسامحة لقريبنا، أن لا نبغضه ونعتدي على صيته وماله وعرضه، أن نعتني بالأكثر بخلاص نفوسنا، بصلواتنا اليوميّة، واشتراكنا بالذّبيحة كلّ أحد وعيد، ومحاربتنا تجارب الشّيطان، والعالم والجسد، معترفين بخطايانا، وبتواتر نتناول القربان الأقدس.

انه الزمن المقبول، زمن الصّوم المقدّس، وأيّامه أيّام الحياة، فالصوم والصّلاة، خير من ادّخار الذّهب، فلنحافظ على وصايا الله والكنيسة ولنفحص كالطّبيب ذواتنا دون عائق أو تأجيل. قال السيّد المسيح:" ماذا يفيد الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه."

إذا كانت الشّيخوخة، حافزا للرجوع إلى اللّه بالتوبة، فليس الشّباب للكيف والبسط والخلاعة والسّكر، بل لما عظم، من أعمال الخير والقداسة، لنتب الآن وليس غدا، فالغد ليس لنا، لأنّنا لا نعلم أي متى يأتي السّارق، فالموت وراء الباب.

ليكن اخوتي هذا الصّوم للتوبة الحقيقيّة، بإصلاح سيرتنا، ورجوعنا إلى الله، بالاعتراف بخطايانا، لنحيا حياة جديدة، توصلنا إلى السّعادة الأبديّة. آمين.

الوصيّة الثّالثة: "انقطع عن الزّفر يوم الجمعة."

يختلف الانقطاع عن الزّفر، كالصّيام حسب الطّقوس، أمّا غايته فقمع الشّهوات بإماتة الجسد أحيانا، لأنّنا ملتزمون بالانتصار، على أهوائنا الذّاتيّة الجامحة بإماتة أنفسنا، إماتة كاملة، عن جميع الشّهوات الأرضيّة، بما فيها المأكول والمشروب وآنئذ نتفرّغ لذواتنا بحرّيّة، بعد أن نكون اتّحدنا باللّه اتّحادا كاملا.

الكنيسة بهذه الوصيّة، العارفة والملتزمة بأمر خلاصنا، تلزمنا، بالامتناع عن أكل اللّحم، وذلك في زمن الصّوم الكبير فقط، علما أنّها من قبل كانت تمنع مؤمنيها، حتّى عن أكل الألبان والبياض، في قطاعات الميلاد والسيّدة وعيد الرسولين بطرس وبولس.

لا يزال الكثيرون من المؤمنين، في أيّامنا الحاضرة، يمارسون الطقوس القديمة، ازديادا في التقوى والعبادة، واقتداء بمن تألّم عنّا وجاع وعطش وسقي خلاّ ومرّا، وبالتّالي تكفيرا عن الخطايا الذّاتيّة، وخطايا العالم، وتيمّنا بالأجر الصّالح

إنّ الكنيسة المعلّمة تدرك، أنّ الجسد يشتهي بعامل الخطيئة الأصليّة، ما هو ضد الروح، سيّما إذا نعم بالرّفاهية، وطيب المآكل التي كثيرا ما تثير فيه الشّهوات المحرّمة الأخرى، فإذا لم يقمع المؤمن جسده هذا، ولم يلجم رغباته، ولم يمت عن نفسه بالتّمام، ارتبك في داخله وصرعته الأهواء والشّهوات، وعجز عن تذوّق الأشياء الإلهية.

على المسيحي الذي يهمّه أمر خلاصه، أن يجتهد ويثبت كالمقاتل، ويعمد الى التوكّل على معونة الرب، ويضع الفأس على أصل الشّجرة ليتطهّر من الأهواء والميول الجسديّة، فيحصل إذ ذاك على سلام الروح وفي الوقت نفسه، على صحّة الجسد.

لنحافظ على هذه الوصيّة إذا، فباستعبادنا وقمعنا لأجسادنا، ننتصر على التّجارب كما تعلّمنا أمّنا الكنيسة، وننال حرّيّة الرّوح . آمين.

الوصيّة الرّابعة: "اعترف بخطاياك للكاهن قلّما يكون مرّة في السّنة."

ملتزمون نحن بالاعتراف، إذا خطئنا مميتة، فإذا لم تتدنّس نفسنا بمميتة فلا نلتزم بالاعتراف، لأنّ الخطايا العرضيّة، تغفر بفعل المحبّة أو النّدامة أو بمناولة القربان الأقدس، والكنيسة المحافظة على نفوسنا كأم تذكّرنا بهذا الواجب، أقلّه مرّة في السّنة، لئلاّ نحرم من النعم الإلهية ومن رحمته، ونعيش بعيدين عنه، وعن عمل خلاصنا الأبدي، لأنه عار على المسيحي، أن يعرف السّياسة والعلوم والفنون، ويجهل عقائد دينه المقدّس،

قال يسوع: " خذوا الرّوح القدس، من غفرتم خطاياهم، تغفر لهم ومن أمسكتموها عليهم تمسك " فبإعطاء السيد المسيح، سلطان غفران الخطايا، رسم سر التّوبة، وحدّد للرسل كيفيّة منحه للمؤمنين إذ لا حلّ للخطايا إلاّ بعد معرفتها، ولا تعرف الخطيئة إلاّ بالاعتراف إذا تأسيس سرّ الاعتراف، الهي لا بشري، وبما أنّه الهي، فهو ملزم، والكنيسة في الواقع، استعملت سلطة الحلّ، منذ الأجيال الأولى، في بيعة الدّياميس في روما، في المغاور تحت الأرض.

من هنا فرضت الكنيسة، الاعتراف العلني والسرّي، وكانت تعاقب عن بعض الخطايا، بالحرم أو القطع من شركتها، لاعتقادها أنّ الكنيسة، هي جماعة القدّيسين "كنيسة مقدّسة " فلا يجوز أن يبقى في جسمها، عضو فاسد، وكانت تتحفّظ في غفران بعض الخطايا: كالقتل والزّنى وعبادة الأوثان، فتمنع مقترفيها من الكنائس، ولا تحلّهم منها إلاّ عند ساعة الموت، ومن يخطأ بغيرها، أن يلبسوا مسحا ويقفوا على باب الكنيسة، مدّة من الزّمن، أو يبذلوا صدقات، أو تفرض عليهم صلوات، إلى أن يظهروا توبة صادقة، لا بل حرارة الإيمان عند

المسيحيّين، سمحت لبعض رؤساء الدّين، أن يعاقبوا المجرمين، من كلّ طبقة، حتّى ولو كانوا ملوكا أو قياصرة ...

القدّيس أمبروسيوس، أسقف ميلانو، منع الملك تودوسيوس، من دخول الكنيسة، بعدما صبّغ يديه، بدماء بعض أهالي تسالونيك الأبرياء، فأطاع الملك الأسقف، ولم يدخل الكنيسة، إلاّ بعدما أتمّ الفرض المرسوم، وأظهر للملأ توبة صادقة.

حتّى ينال التائب غفران خطاياه، يقتضي ثلاثة شروط:

أوّلا: النّدامة

ندامة يسبقها فحص الضّمير، كما لو كان أمام اللّه، عن الخطايا المخالفة لوصايا اللّه والكنيسة، عن الواجبات نحو اللّه والقريب، ثمّ فحص ضمير عن الذّات: لناحية واجباتنا ببيوتنا مع عيالنا، بمجتمعاتنا بشغلنا، ندامة كاملة: لا خوفا من الجحيم، ولا طمعا بالنّعيم، بل حبّا باللّه، أو غير كاملة: صادرة عن خوف جهنّم، والحرمان من السّماء.

ثانيا: الإقرار بالخطيئة.

بعدما يفحص المؤمن ضميره، على ضوء وصايا اللّه العشر، ووصايا الكنيسة السبع وما اقترف من الرذائل السّبع، ومن الخطايا التي هي ضد الفضائل الإلهيّة الثّلاث، والفضائل الإلهيّة الأربع: العدل القناعة الشّجاعة الفطنة، ومن سباب ولعنات وتجاد يف وغيرها ... يتقدّم إلى منبر الاعتراف، كأنّه يتقدّم إلى منبر اللّه، الكاهن هنا يغفر الخطايا باسم اللّه، ويقرّ المعترف بخطاياه المميتة وحتّى العرضيّة دون خجل، ولا ينقص شيئا منها أو يكذب، لئلاّ يكسب لعنة لا بركة . وهنا تتنوّع الخطايا حسب الظّروف .كالسّرقة في الكنيسة، أو قتل

رجل مكرّس، أو تدنيس القربان، والسّجود للأصنام، ثم يسمع التّائب لنصائح الكاهن، وبينما هو يقول فعل النّدامة . يتلو عليه الكاهن صورة الحل

هنا أذكر حادثة، قرأت عنها مفادها: في شتاء 1923 ذهب أحد سكّان أل سكا، في شمال كندا الغربي، إلى الأب رونالد المرسل، يدعوه إلى بلدتهم، الكائنة على مسافة مائة كيلو متر، ولما حضر فوجئ بإحدى عشرة جثّة، ملقاة على الأرض، وبيد كلّ واحد، قشرة من شجر الصّندل، مطويّة وحاوية، تفصيل خطاياه ...

ثالثا: التعويض عن الخطيئة.

لا حلّ من الخطيئة، بدون النّدامة والقصد، بعدم الرّجوع الى الخطيئة، وهنا فليعلم: كل سارق، أنّه مكتوب: " لا تغفر الذّنوب ما لم يردّ المسلوب ...

وكلّ زان، عليه أن يقطع الأسباب القريبة، التي تحمله على السّقوط.

وكلّ مغتاب أو طاعن في صيت القريب، عليه أن يصلح الضّرر.

وليعلم كلّ مردّد لخطاياه، باعترافات متواترة، من غير أن يظهر أقلّ إصلاح في سيرته، أنّ هذه الخطايا لا تغفر، إلاّ على قدر ما يكون نادما عليها، ومتّخذا الوسائل لعدم الرّجوع إليها.

وهنا ربّ قائل يقول: " من يقدر أن يعصم نفسه عن الخطيئة؟ فلا يجوز لنا إذا أن نعترف، إذا كنّا عارفين، أنّا سنقع فيما بعد بالخطيئة

الجواب: إنّ الاعتراف وضع للسّاقطين في الخطيئة، والتّائبين عنها، والمستعدّين أن لا يقعوا فيها، فإذا كان المعترف، مصمّما على الخطيئة ومصرّا، ولا ينوي الابتعاد عنها، فلا ينال الغفران لأنّه غير تائب، وأمّا من يعترف، وهو غير واثق من نفسه بعدم الرّجوع إلى الخطيئة،

ولكنّه نادم ومستعدّ، أن يتّخذ الوسائل، لعدم الرّجوع إليها، ولا سيّما الصّلاة، لينال نعمة التّبات، شاعرا بضعفه كما قال المسيح : " بدوني لا يمكنكم أن تعملوا شيئا." ولمثل هؤلاء قال أيضا: " تعالوا إليّ أيّها المتعبون وأنا أريحكم " وقال: " لا يحتاج الأصحّاء إلى طبيب، بل ذوو الأسقام." فليعترف هذا الخاطئ الضّعيف، فالاعتراف يقوّيه ويساعده، على الثّبات في النّعمة، وقد يصبح من القدّيسين.

أمّا ما يفرضه الكاهن، من الصّلوات والواجبات، وهو " القانون " فهو قليل من كثير ما كانت تفرضه الكنيسة، بأجيالها الأولى، ولكن يجب أن نعرف، أنّ علينا ديونا، يجب أن نفيها ولو تبنا، ونلنا الحلّ عن الخطايا، ديونا تستوجب قصاصات مطلوب منّا الوفاء عنها، إن لم يكن في هذه الدّنيا، ففي عذابات المطهر.

لذلك لم يكتف القدّيس بطرس، بالبكاء مرّة واحدة، على نكرانه المسيح، بل بكى على جحوده، كلّ حياته ...

لأجل التّوبة، عاش عدد كبير من المسيحيّين، بالبراري والمغاور والمناسك، وقضوا حياتهم بالصّلاة والتقشّف والزّهد ومحاربة الجسد والابتعاد عن ملذّات الدّنيا، وعن أسباب الخطيئة ...

لأجل التّوبة عن الخطيئة، ملأ الأديار الشّباب والشّابّات والرّاهبات والرّهبان، أمثال شربل ومار مارون والقدّيسة رفقا، ومارسوا كلّ أعمال الفضائل والاماتات، هجروا المدن والأهل والأفراح العصريّة والمستقبل الباهر، ليستعدّوا لاستقبال ربّهم، ويفوا الحساب، الذي استحقّته خطاياهم ...

ونحن لا نزال نسرح ونمرح، قائلين في نفسنا، قد أخطأنا فأي شرّ أصابنا، كأنّ الأيّام تدوم لنا، أو كأن لا ديّان ينتظرنا، ولا آخره نعاقب عليها، أو كأنّ اللّه كفل لنا النّدامة في السّاعة الأخيرة، والسّاعة الأخيرة من يعلمها غير اللّه! تقول الإحصاءات بأنّ معدّل عمر الإنسان في لبنان 63 وفي كندا 76 ...

وأخيرا ... نحن نعلم العلم اليقين، أنّ المسيح سبق فحذّرنا، بأنّ الموت يأتي كالسّارق، وكثيرون من زملائنا، كانوا أشدّ عافية منّا، تساقطوا كأوراق الخريف، وهذه حوادث المصائب تملأ الأرض، أمطار، عواصف، ثلوج ن فيضانات، براكين، هزّات أرضيّة، أعاصير، حروب أهليّة وإقليمية ودوليّة، فنقول: هذا عقاب الخطيئة، ثمّ يغلب علينا الطّيش، وننسى أنّ علينا خطايا، يجب الوفاء عنها، ونتعرّض للموت الفجائي بلا توبة ...

لا تسمح اللّهمّ، أن نبقى غافلين إلى النّهاية.
لا تسمح، أن يفاجئنا الموت، ونحن في حالة الخطيئة.
بل أعطنا القوّة، منذ الآن، لنتوب عن خطايانا، باعتراف نقي، دون خجل أو تأجيل ونكون مستعدّين للسّاعة الأخيرة، يا اله الرّحمة. آمين.

الوصيّة الخامسة: "تناول القربان المقدّس قلّما يكون في عيد الفصح."

بكلمة يسوع: " خذوا فكلوا " رسم سّر القربان، وأوجب تناوله، تحت شكلي الخبز والخمر، وذلك بأمر الهي، فغاية السر إذا، تغذية النّفس المسيحيّة، من هنا أوجبت الكنيسة، تحت طائلة الخطأ المميت، بعد الصّيام والآلام، الاستعداد لقبول يسوع، عن طريق التّناول، وذلك بخشوع ومحبّة، وبكثير من التّواضع، في أيّام وعصور عمّ فيها الفساد، وكاد ارثنا الأدبي الغالي يضيع.

قال الربّ يسوع " جسدي مأكل حقًا ودمي مشرب حقًا "
الأوخارستيآ قطب القلوب، هي كلّ الدّين المسيحي، لأنّها الرّابطة الشّديدة بين اللّه والنّاس، حبّ اللّه حمل قدرته، على اختراع جديد، هو إيجاد لاهوته وناسوته، تحت أعراض الخبز والخمر، لا في مكان واحد، بل في أمكنة عديدة، على وجه الأرض، ولا إلى زمان قصير، بل إلى انقضاء العالم، ولا لأشخاص قلائل، بل إلى كلّ مسيحي.

فهذا الاختراع العجيب، الذي اخترعه الحبّ الإلهي، كان ضروريّا لكي لا ينساه النّاس، فلو لم يترك لنا سوى، بيت لحم والجلجلة، لطمسنا ذكره سريعا، ونسينا إحسانه العظيم، ولكن حضوره الحي، بيننا في القربان، لا يزال يرسل الأنوار والقوّة والحياة، إلى كلّ أبناء الكنيسة المقدّسة، وينعش فيهم روح الإيمان والرّجاء والمحبّة.

إنّ في المسيحي، حياة الجسد وحياة النّفس، حياة الطّبيعة وحياة النّعمة، خبز أرضي وخبز سماوي، أي جسد ابن اللّه ودمه، ولا بدّ لكلّ من الجانبين، من غذاء يجدّد ويحصّن.

الغايـة الأولى لهـذا السـرّ: " هـي ذكـر آلامـه وموتـه " اصـنعوا هـذا لـذكري " وقـد كتـب بـولس الرّسـول لأهـل كـورنتس: " إنّكـم كلّمـا أكلـتم مـن هـذا الخبـز، وشـربتم مـن هـذه الكـأس، تخـبرون بموت الربّ إلى أن يأتي

الغايـة الثّانيـة: كـون سـرّ الأوخارسـتيّا " قـوت النّفـوس " إنّ التّـذكارات البشـريّة مـن صـورة أو كتـاب أو تحـف فنّيّـة كالتّمثـال، مهمـا كانـت محبوبـة، نـدنيها مـن أفواهنـا أو نضـمّها لصـدورنا، أمّا مخلّصنا الذي نتناوله، ونجتاز به هذا العالم، فهو حمل اللّه الحامل خطايا العالم.

الغايـة الثّالثـة: أن يكـون ذبيحـة دائمـة، وهنـا تظهـر محبّـة اللّـه بـأجلى تعبـير، بـذل الـذّات لا مـرّة واحدة، بل كلّ يوم، وفي كلّ مكان، عن الأصدقاء والأعداء.

لهذا كانت الذّبيحة، أكبر محرّك لإنعاش الرّجاء، بقلوب المؤمنين.

قلنـا في عظـات سـابقة: في ذبيحـة القـدّاس، تجـدّد ذبيحـة الصّـليب ذاتهـا، لكـن بشـكل غـير دموي، على أيدي كهنة العهد الجديد:
لأجل تقديم السّجود والشّكر، للآب السّماوي.
ولأجـل طلـب الـنّعم والمغفـرة، للأحيـاء والأمـوات والأبـرار والخطـاة، حـتّى ولأعـداء اللّـه والكنيسـة، قال يسوع: " ليس مرضاتي بموت المنافق، بل أن يتوب عن طريقه ويحيا ".

الأوخارسـتيّا، حقيقـة مـن حقـائق الإيمـان، سـر مـن أسـرار البيعـة، فـإذا شـكّ ضـعاف الإيمـان بهـا، فقـد شـكّ قـبلا اليهـود بهـا، إذ قـالوا: "كيـف يمكـن هـذا، أن يعطينـا جسـده لنأكلـه، ودمـه لنشربه " لا بل التّلاميذ شكّوا قائلين: " ما أصعب هذه الكلمة ...

إنّ الــذي لكلمــة مــن فيــه: " العــرج يمشــون، الصّــمّ يســمعون، العميــان يبصــرون، الــبكم يتكلّمون، الموتى يقومون.

من قال للبحر: " أسكت أسكن ".

من أقام لعازر من القبر.

من نفض غبار الموت عن عينيه.

من قام من القبر ممجّدا.،

من صعد إلى السّماء أمام جمع غفير.

من مدّن العالم بتعاليمه، ومثله الصّالح.

من أمكنه القول: " من منكم يوبّخني على خطيئة ".

هو نفسه من قال: " خذوا كلوا، هذا هو جسدي، هذا هو دمي"

انّه في اليوم الذي رسم به الذّبيحة، يدعونا لتناوله في سرّ محبّته، بمحبّة وطهارة وتوبة وتسامح قائلا: لكلّ واحد منّا: " يا بنيّ أعطني قلبك " يدعونا لفصحه المجيد وفصح المسيحي " الاعتراف ".

فإذا كان داود النّبي، رقص قدّام تابوت العهد، ولحّن وغنّى ورتّل المزامير، ذاكرا حسنات اللّه على آبائه.

وإذا كنّا نزور رفات القدّيسين، الملفوفة بالحرير والذّهب، ونكرمها بصلاة وخشوع.

وإذا كان الألمان الجنود، قد شغفوا بزعيمهم هتلر الطّاغية، فكانوا وهم صرعى يهتفون " ليحي هتلر ".

والعبيد ما بعد تحريرهم، في الحرب الأهليّة، للولايات المتّحدة، كانوا ينشدون: إلى الأمام فانّ روح برا ون تنادينا.

فكم أحرى، بالمسيحي المفتدى بدم ابن اللّه، أن يتّكل على القربان الأقدس، بتجاربه وضيقاته ...

فلنكـرّر إذا علـى الـدّوام، ومـن الأعمـاق هـذا الهتـاف: " إلى الأمـام! فـانّ القربـان الأقـدس يناديـنا!!! آمين.

الوصيّة السّادسة: "أوف البركة أي العشر"

ورد في لوقا ما مفاده: " ولذلك قالت حكمة اللّه: " سأرسل إليهم الأنبياء والرّسل "

إذا خدّام الكنيسة، هم مدعوّون من اللّه، لرسالة سماويّة، ولهم منزلتهم وواجباتهم، هؤلاء كم يضطّهدون، وكم لهم من أتعاب، وكم احتملوا من مشقّات، في سبيل خلاص النّفوس، وفي سبيل حفظ وديعة الإيمان، هؤلاء أطبّاء نفوسنا، هذّبوا، علّموا، وعظوا وأرشدوا وقدّسوا، ويرافقوننا من المهد إلى اللّحد، مكرّسين كلّ جهودهم لأجلنا ولأجل أولادنا وأقاربنا ومجتمعاتنا، مثل هؤلاء هل نبخل عليهم بالعطاء المادّي الفاني، وهم من دلّونا، على طريق العالم الباقي، للحياة الأبديّة.

فإذا كان يسوع، قد وعد رسله، في يوم الدّين، بمشاركته يوم يدين أسباط إسرائيل الاثني عشر، وبأنّهم سينالون بدل أتعابهم، مائة ضعف كان كاهن المذبح من المذبح يعيش، كما حدّد رسول الأمم، وجب علينا نحن إذا بدورنا، أن ندفع عن طيبة نفس عملا بهذه الوصيّة، المستوحاة من إرادة المخلّص، ما يتوجّب علينا من عشور، للكنيسة تعزيزا لمركزها ومشاريعها، ولخدّامها الأمناء العاملين على رفع مستواها، لمجد اللّه وخدمة النّفوس.

للكاهن غاية سماويّة، انّه يقدّم لنا الرّوحيّات، أليس من الواجب أن نساعده في الزّمنيّات، بما هو لائق بمقامه، انّه نسمة الخير، وعنوان الوئام والسّلام، المذكّر دائما بالواجبات الدّينيّة، انتصارا للعدالة، وصيانة لحقوق الإنسان، وكثيرا ما يكون الكاهن، عرضة للانتقادات أحيانا، بدون أي سبب، إلاّ لأنّ العاملين دائما، في كرم الربّ يضطّهدون، كما سبق وأنذرهم معلّمهم الإلهي قائلا: " ليس عبد أفضل من سيّده، ولا تلميذ من معلّمه ... وفعلا قلّما

يجد الكاهن تعزية أو عضدا، في عمله الرّسولي، بل ربّما كان مثار تسلية وسخرية لأنّ الرأس الكبير كثير الأوجاع، كما يقول الكتاب، وكم مرّة نسمع أناسا، يحسدون الكاهن على معيشته، هو الذي حرم نفسه الكثير من طيّبات الحياة، علما أنّه بشر نظير النّاس وله ضعفه، فإذا وقع نظرنا على صورة المسيح في الوحل .كما قال أحدهم . فلا نطأها بأرجلنا، بل نرفعها باحترام، ونضعها بمأمن من الإهانة والتشفّي.

وقصارى القول: إنّ الكاهن يستحق الإكرام والإعالة، وحتّى يتفرّغ لرسالته، ونظرا لسموّ منزلته، ولأنّ في وظيفته، منفعة للأسر والهيئات الاجتماعيّة، والكنيسة ككلّ فلنحترم مقامه، ولنساعده في مشاريعه الرّوحيّة والزّمنيّة، ولنمدّه بما يحفظ كرامته ويوفّر له سبل العيش اللاّئق بمكانته، وبما هو ضروري لمعيشته، ليتمجّد به اسم اللّه وتنتشر به وبأمثاله، مملكة السيّد المسيح. آمين...

الوصيّة السّابعة: "امتنع عن إكليل العرس في الأزمنة المحرّمة."

تحرّم الوصيّة السّابعة هذه، الضّجيج الخارجي، والأفراح الصآخبة، وهستيريا الرقص والموسيقى، في زمان كرّسته الكنيسة، للصلوات الاحتفاليّة والزيّاحات والدّورة الصّياميّة الطّقسيّة، وتدعونا فيه إلى مزيد من التّوبة، وأعمال الإماتة والتقشّف، وترويض النّفس في الرّوحيّات، وما عدا ذلك، ينافي غاية وصيّة الكنيسة

قال السيّد المسيح: " إذا حرّركم الابن، صرتم أحرارا حقّا " والحرّيّة هنا هي حرّيّة أبناء اللّه، العاملين على حمل نير المسيح الخفيف، ولو مع الصلاة والصّوم والإماتة وأعمال الرحمة.

إذا كان زمن الصوم، هو الزمن المقبول، وأيّامه أيّام الحياة، فيجب أن نحترم إرادة الكنيسة فيه، وهي أن نتفرّغ خلال هذا الزّمن، لأعمال البرّ والإحسان، لا فقط خلاصا لنفوسنا، بقمع الشّهوات، واحتمال مشقّات الحياة بما فيها من مصائب وويلات واضطّهادات، والمحافظة على الآداب، والصّيام والقطاعة والأعياد، ومقاومة مراسح الخلاعة، والكفر وينابيعه، والفساد والتهتّك في الأندية والصّحافة والشّوارع، والتخنّث والمسكرات والقمار ومعاقرة الخمرة وسموم التّدخين على أنواعها، واقفين بحزم ضد أعداء التمدّن والرقي والشرف، بل لخلاص النّاس، والتّفاني في سبيلهم، عملا بمن بذل نفسه عنّا جميعا، حتّى الموت موت الصّليب.

بهذا نحفظ لزمن الصّيام رونقه الروحي، وغايته الأوّليّة، فكلّ صيام مرائي، صيام مرفوض، ولن يجدي نفعا.

خلاصة القول إنّ الصّيام المرضيّ، هو الصّيام المرفق بالصلاة ألوا دعة، والنّاجم عن إذلال الذّات والتواضع أمام اللّه، وهذا لا يتطلّب صخب الزّيجات العالميّة البحتة القائمة على ما طاب ولذّ من المأكول والمشروب، وعلى الهرج الخليع بل على التمثّل، بمن شابهنا بكل شيء ما عدا الخطيئة، وبمن عذّب وتألّم ومات مكفّرا بدمه المسفوك عن خطايانا.

بهذا نحافظ على مبادئ ديننا، محافظتنا على ارث ثمين، مبتعدين عن العادات المستهجنة ممارسين أسمى الفضائل الاجتماعيّة، واثقين كالابن الشّاطر التّائب، بالآب أبينا الذي في السّماوات، وبمن فدانا على الصّليب، وأنه لن تسقط واحدة من شعور رؤوسنا إلاّ بأذنه. آمين.

الفصل الثّالث

اسرار الكنيسة السّبعة

السرّ الأوّل: "المعموديّة "

قال السيّد المسيح للرسل: " اذهبوا إلى العالم كلّه، علّموا وعمّدوا باسم الآب والابن والرّوح القدس ". وقال ثانية: " من يؤمن ويعتمد يخلص " وقال ثالثة: " من لم يولد من الماء والرّوح لا يدخل ملكوت اللّه " بهذا رسم سرّ المعموديّة، من باب الضّرورة للخلاص

فالأسرار السبعة عموما، التي هي: المعموديّة، التّثبيت، التّوبة، القربان المقدّس، مسحة المرضى، الكهنوت، الزّواج، هي أعمال حسّيّة، منحنا إيّاها السيّد بذاته، وبإرادة منه ليتبنّانا نعمة روحيّة، غايتها تقديس نفوسنا، فرديّا واجتماعيّا، على توالي مراحل الأعمار
البشريّة.

في العماد ننال البرارة ونتنقىّ، وننجو من الموت، وفي التّثبيت نتقوّى ونثبّت في الحياة وننال الكمال، في جنديّة المسيح، لمقاومة الشرّير وقوّاته ...

المعموديّة كسرّ من الأسرار السّبعة، تصيّرنا أبناء اللّه والكنيسة، وهي ميلاد ثان لنا، بها نصبح خليقة روحيّة جديدة، أنقياء من كلّ خطيئة، عائشين أبناء للّه، وارثين له.

المعموديّة تقبل مرّة واحدة، وتسمنا وسما روحيّا، لا يمحى ولو بالموت ولا ينوب عنها إلاّ معموديّة الدمّ، ومعموديّة الشّوق.

عندما نتعمّد، نبتّ عهدا مع اللّه، يضع علينا التزامات قيّمة، نتعهّد فيها بفم العرّاب بأن نجنّد للّه ضدّ الشّيطان، ونسير بوصاياه، ونطيع الكنيسة ورعاتها، وبالتّالي لا نخون ...

المعموديّة إذا، واجب على كلّ إنسان، فلسنا أحرارا برفضها، لا بل من الظّلم أن نحرم منها، ونحن معرّضون للموت، وخسران السّماء إلى الأبد، وهنا يجب التّنويه، بأنّ الاعتراض على عماد الأطفال باطل بناء على علم الآباء والتقليد الرّسولي والكنيسة، بحيث كانت العائلة المؤمنة، في بدء تاريخ الكنيسة، تعمّد كلّها بصغارها وكبارها، كما ورد في أعمال الرّسل، عن أهل بيت اسطفانا، ومن ذلك يبدو لنا، عظم خطيئة الأهل، الذين يتباطأون، في تعميد أولادهم، ويعرّضونهم لخطر الموت، ومن ثمّ لخسران رؤيته تعالى مدى الأبديّة.

كما تربطنا الولادة الطّبيعيّة، بالعائلة والأهل والوطن بأرضه وهوائه وسمائه، فنحبّ تلك وندافع عن هذا، هكذا تربطنا الولادة الرّوحيّة، بالكنيسة وأعضائها المسيحيّين ورأسها المنظور، وغير المنظور، وبرعاتها عامّة، لهذا سفك العديد من الشّهداء دماءهم، في سبيل انتمائهم إلى مسيحهم وكنيسته، في كلّ زمان ومكان، تعرّضت الكنيسة، وتتعرّض للاضطّهادات.

نحن تلاميذ المسيح، فلنتخلّق بأخلاقه، ولنعش ولنمت لأجله، فحذار أن ننزع منّا، بهاء نفوسنا، بعد أن تطهّرنا بماء العماد. آمين ...

السرّ الثّاني: "التّثبيت."

سرّ التّثبيت، هو سرّ ووسم لا يمحى يمنحنا، بين العديد من مواهب الرّوح القدس، الفهم والقوّة والجرأة، لنشهد للمسيح، ونجاهد في سبيله، بأعمالنا وأقوالنا، فنحيا حياته، وبشّر بملكوت كنيسته، دون وجل وخجل ، مفضّلين الطّاعة للّه، ولو مع الموت، على الطّاعة للبشر، مستلهمين الروح القدس، في كلّ قول وعمل صالح تشبّها بالتّلاميذ.

يسم الكاهن طالب التّثبيت، بعد العماد مباشرة، بالميرون المقدّس، في جبهته شكل صليب ثلاث مرّات وهو يقول: " بميرون المسيح الإله، رائحة الإيمان الحقّ العذبة، طابع وملء نعمة الرّوح القدس، يطبع عبد اللّه (فلان) بسم الآب والابن والرّوح القدس. آمين.

نقرّب لأذهاننا فهم هذا السرّ، إذا أدركنا بديهيّا، أنّ الحياة الجسديّة، تحتاج الى نموّ وتغذية ونجدة لئلاّ تفنى، فكم أولى بحياة الرّوح التي، تحتاج بدورها، إلى قوّة اللّه وعونه ضدّ التّجارب ومصاعب الحياة، الأمر الذي يتطلّب الجهاد الرّوحي، تقوية وتثبيتا لإيماننا، وهذا ما يكمّل فينا عمل المعموديّة، والذي تسمّيه الكنيسة، سرّ التّثبيت.

مثل أي سرّ من أسرار الكنيسة السبعة، هو المسيح من رسمه، لأنّه يهب الرّوح القدس، كما في أوائل الكنيسة، وقد ورد في أعمال الرسل ما يلي: " من يمكنه أن يهب النّعمة والرّوح القدس غير اللّه " والرسل استعملوا سرّ التّثبيت. " ولما سمع الرّسل في أورشليم، أنّ أهل السّامرة قد قبلوا كلمة اللّه، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنّا، فانحدرا وصلّيا من أجلهم لكي ينالوا الرّوح القدس، لأنّه لم يكن قد حلّ على أحد منهم، سوى أنّهم كانوا قد اعتمدوا بالربّ يسوع، فوضعا حينئذ أيديهما عليهم، فنالوا الرّوح القدس".

من النص المتقدّم نفهم، أنّ التّثبيت ليس هو العماد، بل كان يمنح بعده، بمادّتي زيت الزّيتون والبلسم، رمزا للزّيت الذي كان الأبطال قديما، يدهنون به أجسامهم، قبل المصارعة، ويتعطّرون ويداوون جراحهم بالبلسم، وهذا أيضا يحتّم، على الشّاب في فجر شبابه الطّافح بالشّهوات، أن يتعطّر بالطّهارة والفضائل، ويداوي جراحه، في مصارعته الجحيم، فيما أنّ معنى الصّفعة اللّطيفة، التي يصفع بها خادم السرّ المعمود، بعد دهن جبهته بالميرون، تذكّرنا بأنّه يلزمنا أن نلطم حبّا بيسوع، وأن نحتمل العذابات كلّها لأجل محبّته.

بهذا المعنى الروحي، فهم الآباء القدّيسون هذا السرّ، لأنّهم اعتقدوا أنّه بمنح هذا السر يحلّ الروح القدس في النّفس، كما حلّ على الرّسل الأطهار، في علّيّة صهيون، يوم عيد العنصرة ... والروح القدس هذا نفسه، لا زال يصدر، من محبّة الآب والابن المتبادلة، وهو مصدر كلّ قداسة في الكنيسة ... على توالي الأجيال ...

في التّثبيت نسجّل في جنديّة المسيح، لمقاومة أعدائنا الخفيّين والظّاهرين " العالم والجسد والشّيطان " في الكتب، في شرائط السّينما، في الصّحف والمجلاّت، حاملة الضّلال والفساد، فإذا تهاونّا أهلا ومدارس ومجتمعا، أتت الشّكوك على أيدينا، وعمّت الرّشوة والجرائم ومنيت النّفوس، بالكبرياء والطّمع والبغض والانتقام.

لنحسّن سلوكنا، بأمثالنا الصّالحة، لأنّ " ملكوت السّماء يغصب، والغاصبون يختطفونه ".

انّه اللّه أبونا، وحده من يستحقّ محبّتنا.

ولنسأل الرّوح القدس أن يقوّينا، لنشهد للمسيح بحياتنا اليوميّة، وتكون لنا جرأة بطرس ويوحنّا وفيلبّس، بمنحهم الرّوح القدس وتعليم وتعميد المؤمنين. آمين ...

5

السرّ الثّالث: "سرّ التّوبة والاعتراف."

سر التّوبة، كما يحدّده كتاب التّعليم المسيحي، يمنح المسيحي غفران خطاياه كلّها ويثبّته في القصد الصّالح، وشروطه: النّدامة والاعتراف والتّعويض من قبل التّائب ومنح الحلّة من قبل مانح السرّ.

وهذا يقتضي النّدامة الكاملة، الصّادرة عن حبّ اللّه، وغير الكاملة الصّادرة، عن الخوف من الجحيم وطمعا بالنّعيم، بمعنى انسحاق القلب، على ما صنعنا من شرّ، وقصد الرجوع عنه إلى اللّه، بقلب متخشّع متواضع.
سرّ التّوبة، هو باب الرّجوع إلى اللّه، واستعادة البرارة المفقودة،، إنه يلزم المؤمنين مرّة في السّنة، لكنّ ممارسته المتواترة، من أنجع الوسائل لصيانة الإيمان وتقديس الذّات، والحصول على الخلاص الأبدي.

وهنا يأتي دور سرّ الاعتراف، الذي رسمه السيّد المسيح بقوله في يوحنّا: " خذوا الرّوح القدس، من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتم عليهم الغفران يمسك عليهم " يوحنّا (20: 22و 23) وفي متّى " الحقّ الحقّ أقول لكم إن كلّ ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطا في السّماء، وكلّ ما حللتموه على الأرض، يكون محلولا في السّماء " (18: 18)

عرف المسيح ضعفنا، فنحن كأبناء لأبينا آدم، الذي أورثنا الخطيئة الأصليّة، رغم النّعم والمواهب التي، منحناها بسرّي المعموديّة والتّثبيت، لا نزال نخطئ، وهنا وان يكن اللّه عادلا،

شاءت رحمته، وهو من أحبّنا حتّى الموت موت الصّليب، أن يخترع سرّ الاعتراف، محبّة بنا نحن الخطأة مشبّها إيانا، بالدّرهم الضّائع والنّعجة الضّالة والابن الشّاطر.

فإذا كان المسيح، قد قلّد الرسل والكهنة خلفاءهم، سلطته على الحلّ من الخطايا فيجب أن يعرفوا تفاصيل الدّعوى، من هنا كان الخاطئ، المدّعي والمدّعى عليه والشّاهد على نفسه، ليعرف الكاهن كيف يحلّ ويربط.

اختلفت مظاهر الاعتراف الخارجيّة، عمّا كانت منذ العهود المسيحيّة الأولى، ولكنّ الكنيسة التزمت به، حسب التّقليد كواجب الهي، حتّى الطوائف البروتستانتية، بعد نكرانها الاعتراف، عادت فأقرّت بضرورته.

في أيّام نهشت المادّة، وابتلعت الملذّات الدّنيويّة أبناء جيلنا، وفي وقت ضاع الحياء، فأباحت فيه الشّبيبة الجنس، والكحول والملاهي المسمّمة والقمار والتّفرنج الأعوج، وفي عصر وزمن، فقد فيه العالم قيمة النّفس، تأتي رسالة الغفران، خير وسيلة للارتداد، إلى من قال: " أثمروا ثمارا تليق بالتّوبة، توبوا إليّ بالصّوم والانتحاب، ومزّقوا قلوبكم لا ثيابكم، إنّ الربّ رحيم، طويل الأناة، وكثير الرّحمة ".

خلاصة القول، بعد أن نصب السيّد المسيح، في كنيسته بذاته، سرّ التّصالح مع اللّه حذار أن نؤجّل إلى الغد، توبتنا واعترافنا، بل فلنهتف لدى كلّ خطأ قائلين: " أيّها الرّوح القدس، املأ قلوب مؤمنيك، وأضرم فيها نار محبّتك، أرسل روحك يا ربّ فيخلقوا، ويتجدّد وجه الأرض " آمين.

السرّ الرّابع: "سرّ القربان الأقدس."

قال يسوع: خذوا كلوا هذا هو جسدي، واشربوا هذا هو دمي. وقال بولس الرّسول: أيّ إنسان أكل خبز الربّ، أو شرب كأسه، وهو على خلاف الاستحقاق، فهو مجرم إلى جسد الربّ ودمه ...
عقيدة إيمان الكنيسة، بسرّ الأوخارستيّا، آمن بها العالم المسيحي بثبات، في كلّ زمان ومكان، رغم صعوبة فهمها، بحيث كان الأوّلون منهم،

مواظبين كلّ يوم، رغم الاضطّهادات، على كسر الخبز والخمر، وتناول جسد الربّ، ومؤمنين إيمانا رّاسخا، بأنّ هذا السرّ يحوي حقيقة، جسد المسيح المتأنّس.

انّ ما يقدّم اليوم للقربان الأقدس، من مظاهر الإكرام، في المؤتمرات القربانيّة في العالم، يثير الدّهشة الرّوحيّة: وفود شعبيّة، شوارع تزدان اشتراك حكومات رسميّة، أقواس نصر، أصوات تهليل، ترنّم أجواق المرنّمين، ألوف مؤلّفة من المؤمنين، تتقدّم من مائدة الخلاص، وفي كلّ يوم، يقدّم الذّبيحة ملايين من الكهنة، لمؤمنين بالملايين يتناولونها، أو يزورون القربان، مصمودا في الكنائس المفتوحة ضارعين ساجدين خاشعين، طالبين نعم اللّه، على البشريّة والعالم، للتّعزية والصّبر على مكاره الحياة، نابذين أفراح الدّنيا، مفضّلين جوار المسيح.

القربان المقدّس مدرسة المحبّة، هو الصّائن لطهارة وعفّة الرهبان والراهبات والأمانة الزّوجيّة، هو زاد المرضى والمنازعين، هو معلّم فضيلة التّواضع.

من هنا تبرز حاجة نفوسنا، إلى تناول جسد الرب، نغذّي به نفوسنا طعاما سماويّا، كما نغذّي أجسادنا بالقوت الأرضي، وآنئذ نسدّ جوعنا الرّوحي، ونروي ظمأ نفوسنا العطشى، فيتحوّل الطّعام إلى لحمنا ودمنا بشكل سرّي، كما ولد المسيح من العذراء، وكما دخل على التّلاميذ والأبواب مغلقة، فنحيا بالربّ، ونعيش معه مدى الأبد

فالتّناول يحفظ فينا حياة النّعمة، هو سرّ الأحياء يقوّي ضعفنا، يطفئ فينا شهوات الجسد، فننتصر على العالم والشّيطان، يقوّي فينا الفضيلة والأيمان، ويعلّمنا أن نسعى لما هو أبدي وسماوي وما لا يرى، لا لما هو زمني وما يرى فقط، يزيد فينا الرّجاء، بالنّعم الضّروريّة للخلاص يزيد محبّتنا، هو من تأنّس ومات لأجلنا، فنحيا به كما حيي به رسول الأمم القائل: " أنا حيّ، لا أنا بل المسيح حيّ فيّ، ومن ثمّ يجب " أن يكون فينا من الأفكار والأخلاق ما هو في المسيح يسوع " وأخلاق المسيح هي محبّة القريب، معاملته كما معاملتنا لشخصنا بعدم الضرر بصيته وعرضه، أخلاق لمسيح طاعة وتواضع وتجرّد.

هنا تنشأ ضرورة التقرّب، إلى القربان المقدّس، كلّ مرّة نحضر ونشترك بالذّبيحة الإلهية، وإلاّ كنّا كمن يجلس إلى المائدة، ثمّ يمتنع عن الأكل كما يقول القدّيس يوحنّا فم الذّهب.

حذار أن نجادل أفكارنا، أو أن نجيب على ما يلقي الشّيطان، في نفوسنا من شكوك، بل لنؤمن بعظمة هذا السرّ، وبكلام اللّه، فيهرب عنّا العدوّ الشرّير، ونستحقّ النعمة العظيمة، بقبولنا سرّ الأوخارستيّا، فهو قوتنا وقوّتنا وتعزيتنا. آمين.

السرّ الخامس: "الكهنوت."

رسم يسوع سرّ الكهنوت، في العشاء السرّي بقوله: " اصنعوا هذا لذكري ".

يحدّد كتاب التّعليم المسيحي الكهنوت، بأنّه سرّ يخوّل الكاهن، تقدمة الذّبيحة، ومنح الأسرار، والتّبشير بالإنجيل، وسياسة النّفوس.
هو سرّ يقدّس جهاد الكاهن، في رعاية القطيع الموكول إليه، ليسهر عليه ويقوته، ويفني حياته في سبيله، وهنا مع ما له من حقوق، ينشأ عن رعايته، أمر الطّاعة للرّاعي، ومساعدته أدبيّا ومادّيّا " لأنّ الفاعل يستحقّ أجرته "، ليحسن القيام بوظيفته.

طالب الكهنوت، هو والحالة هذه، من يدعوه اللّه كما دعا هارون " لستم أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم " ومن ثمّ وجب وجود الكاهن وإيلائه السّلطان على تحويل الخبز الخمر، إلى تقديس جسد ودم الرب، وتوزيع التّناول على المؤمنين، وعلى إعطاء النّعمة من المعموديّة، وتقويتها في الميرون، وعلى نعمة شفاء المرضى، وعلى تقديس عقد الزّواج وعلى حلّ الخطايا.

وكراع للنفوس، أوكلت إليه واجبات نحو الأسرة والهيئة الاجتماعيّة وعليه فمنزلة الكاهن الرّوحيّة السّماويّة، تفوق كلّ مهنة ومنزلة أرضيّة شرف لم يعط للملائكة، لأنه يصنع ما صنعه المسيح، ويتكلّم بفم المسيح، إذ يأمر اللّه، فينحدر من أعلى السّماوات، ليولد على هياكلنا، بقوله: " خذوا فكلوا هذا هو جسدي ".

قال الرّسول بولس لأهل كورنتس: " فليحسبنا الإنسان، كخدّام المسيح ووكلاء أسرار اللّه ".

هـل أخطـأت القدّيسـة تريزيـا، إذ قالـت: " لـو رأيـت ملاكـا وكاهنـا، لابتـدأت بتحيّـة الكـاهن أوّلا "! وقـال القـدّيس فرنسـيس السّالسـي، عـن كـاهن قدّيـس كـان قـد رقّـاه، إلى درجـة الكهنـوت، منحـه اللّـه نعمـة أن يـرى ملاكـه الحـارس، أنّ ملاكـه هـذا، كـان يـدخل أمامـه إلى الكنيسة، قبل أن يرسم كاهنا، وبعد رسامته، لم يعد ملاكه يقبل إلاّ أن يدخل وراءه. .

فأعطنا يا ربّ، كهنة قديّسين، وجمّلهم بشرف تكميل أسرارك المقدّسة. آمين ...

السرّ السّادس: "النّزواج."

سرّ الزّواج، هو سرّ من الأسرار المقدّسة، يقدّس حياة الزّوجين المشتركة، ويمنحهما النّعم، للتّعاون في الحياة، وتربية البنين. فخاصّة الزّواج هذا، جهاد الزّوجين المشترك، أمّا واجباتهما المتبادلة، فالمحبّة الخالصة والأمانة الزّوجيّة، وكما على الرّجل، أن يحبّ امرأته، حبّ المسيح لكنيسته، كذلك على المرأة، أن تخضع لزوجها، كما لربّنا، خضوع حبّ وإكرام.

على سرّ الزّواج، معوّلنا في الحياة الاجتماعيّة، فعن جهله تنجم مضرّات روحيّة عديدة، لذلك يجب إنارة الشّعب، بتعليم الكنيسة، في هذا الأمر الخطير، كون شريعة الزّواج، شريعة إلهية، فاللّه وحده وضع سنّة الزّواج، فجاء الإنسان، أجمل ما خلق اللّه، وأكمل خليقة ظهرت على الأرض، لأنّها على صورته ومثاله، بالنّفس والعقل والإرادة، ورأى أنّ كلّ ما خلقه حسن.

هذه العبارة لم يقلها اللّه، بعد كلّ خلق، إلاّ بعد أن خلق المرأة، من ضلع الرّجل عونا له، وفهم آدم ما هو مركز امرأته بالنّسبة إليه، بكونها لم تسحب من رأسه، لتسود عليه، ولا من قدميه لتكون له خادمة، بل من ضلع محاذ للقلب، لتكون شريكة له في الحياة وعونا له، وسمّاها امرأة، لأنّها من امرئ أخذت.

رجلا واحدا وامرأة واحدة خلقهما، وقال للبشر بشخصهما: " أنموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلّطوا عليها " وهذا ما فهمه آدم أنّ امرأته، عظم من عظامه، ولحم من لحمه، وفي هذا ارتباط وحبّ دائمين، وعدم انحلال ووحدة، وفي هذا مصلحة الأولاد، ولحمة عائليّة لا تنتهي إلاّ بالموت، كما ارتباط المسيح بكنيسته، وكلّ مخالفة لهذه المبادئ، عاقبتها غياب

الحـبّ، والمخاصـمات، والطّـلاق المتـواتر وعـدم متابعـة تربيـة البنـين، بـل عـدم الحـبّ المتبـادل، بين الأهل والبنين ...

كـلّ أمّـة تخـلّ، بوحـدة الـزّواج وقداسـته، تـنحطّ وتغـوص في الأوحـال، كمـا أثينـا وروما قـديما، فـالمرأة لم يخلقهـا اللّـه، ليسـتخدمها الرّجـل لشـهواته وأميالـه المنحرفـة، أو ليحـلّ عقـد زواجـه، لأوهـى سـبب، وإلاّ بـادت الأخـلاق، وألّهـت الرّذيلـة، وتفكّكـت العيـال، لهـذا لم يسـمح السـيّد المسـيح بمـا سمـح بـه موسـى الشّـعب قـديما، بـل قـال: " إنّ موسـى سمـح لكـم، أن تطلّقـوا نسـاءكم، مـن أجـل قسـوة قلـوبكم، منعـا مـن شـرّ أعظـم "كمـا جـرى لسـارة مـع هـاجر، في الكتـاب المقـدّس، ولأولاد يعقـوب، وأولاد داود النّـبي وغيرهـم، ممّـا كـان ينشـأ عنـه، الـبغض والحسد والقتل.

قـدّس السـيّد المسـيح الـزّواج، بحضـوره عـرس قانـا الجليـل، وشـرّع الـزّواج بجعلـه وحـدة، لا انحـلال لهـا سـوى بـالموت، رجـل واحـد لامـرأة واحـدة، كمـا في بـدء الخلـق، كـلا الرجـل والمـرأة، جسـد واحـد، " مـا جمعـه اللّـه لا يفرّقـه الإنسـان " فلـئن طلّقـت امـرأة بعلهـا، وتزوّجـت آخـر، فقـد زنـت، ولـمّا استصـعب تلاميـذ يسـوع هـذه الشّـريعة، لم يرجـع يسـوع عـن كلامـه، بـل قـال لهـم: " من استطاع أن يحتمل فليحتمل.

اللّـه الحكـم، في الـزّواج، لا الإنسـان، فلـيس علـى الإنسـان، أن يفصـل مـا جمعـه اللّـه، فـالزّواج المـدني بهـذا المعـنى، مخـالف إذا لشـريعة اللّـه، وللحكومـات أن تفصـل فقـط في الأمـور الزّمنيّـة، ومـع تسـليم الرسـول بـولس للمـرأة، بـأن لهـا أحيانـا أسـباب شـرعيّة للفـراق، لا يسـمح لهـا أبـدا بـالزّواج، مـا دام الـزّوج حيّـا، قـال: " أمّـا المتزوّجـون فأوصـيهم، لا أنـا بـل الـربّ، بـأن لا تفـارق المـرأة رجلهـا، وان فارقتـه فلتبـق غـير متزوّجـة، أو فلتصـالح رجلهـا ... هـي مقيّـدة بالنّـاموس مـا دام رجلها حيّا ... السّماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول، قال السيّد المسيح ...

حافظت الكنيسة طوال تاريخها، على شريعة الزّواج، وقدسيّته ومضجعه الزّوجي الطّاهر، فلم تتراجع رغم استشهاد العديد، من أساقفتها وكهنتها وأولادها، عن هذه الشّريعة، فمدّنت أثينا ومحت طيشها، وكورنتس ولاشت دنسها، وروما وطهّرت معابدها وقصورها من الخزي والعار، وربّت البرابرة، رغم قوّة القياصرة، وفلسفة الفلاسفة، وكم قاوم البابا‌وات والأساقفة الملوك، فما قويت على الكنيسة، أبواب الجحيم.

لنحافظ في هذا الزّمن الرّديء، على شريعة السيّد المسيح، كما حافظ عليتها، آباؤنا وجدودنا، لأنّ اللّه أحق من النّاس بأن يطاع، لأنّ شريعة الزّواج هذه، شريعة تمدّن وسلام، ورحمة للزّوجين والأولاد، ولنقبل على الزّواج، لا بإتّباع الأهواء، ولأسباب مادّيّة وغايات ماليّة وعن خفّة وطيش، بل بتحكيم العقل، فلنأخذ حذرنا من كلّ ما يضرّ بقدسيّة الزّواج، لنضمن لأنفسنا السّعادة الحقيقيّة، المضمونة للوكيل الأمين. آمين ...

السرّ السّابع: "سرّ مسحة المرضى."

سرّ المسحة رسمه السيّد المسيح، وأذاعه القدّيس يعقوب الرّسول كتابة وتقليدا منذ بدء النّصرانيّة بقوله: " هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة وليصلّوا عليه، ويمسحوه بالزّيت باسم الربّ، فإنّ صلاة الإيمان تخلّص المريض، والربّ يقيمه، وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له (5: 14)

رسوليّة يعقوب الرّسول، تعصمه من الغلط، لذلك نقل إلينا، بالاستعمال الرّسولي اليومي، ما علّمه المسيح شفهيّا، ناقلا النّعمة الخاصّة بقوّة السرّ من هنا للكاهن وحده، حقّ منح المسحة، للمسيحي المشرف على الموت لأنّ الإنسان المشرف على الموت، يحتاج إلى قوّة كبيرة، تشدّده في الصّراع الأخير ضدّ الشّيطان، فالمسحة تشدّد وتعزّي وتبعث الرّجاء في قلبه، وتشفيه من المرض، إذا كان الشّفاء موافقا لخلاص نفسه، وإذا كان عليه خطيئة مميتة، وندم عليها، ولم يتمكّن من الاعتراف بها، تمحوها له، وتغفر الخطايا العرضيّة، وقصاصات الخطيئة المميتة، بقدر استعداد التّائب وندامته، فيما تقدّس المسحة هذه أيضا، جهاد الإنسان، في المرحلة الأخيرة من حياته، لأنّها تولي المريض الثّقة بيسوع، وتعينه على احتمال آلامه، إقتداء بيسوع المتألّم.

هنا على الكاهن، بعامل رسالته وغيرته على رعيّته، أن يتفقّد أبناءه ويؤمّن لهم الأسرار في وقتها، وبأولى حجّة، إذا فاته أمر كهذا، على الأهل أن يستدعوا الكاهن، بدون عقد عالميّة بحتة، ليمنح المريض المسحة في حينها.

غـذاء المسـحة للـنفس، كبـاقي غـذاء الأسـرار، عربـون القيامـة مـن الأمـوات وللحيـاة الأبديّـة، شـرط أن نرجـع إلى اللّـه بتوبـة صـادقة، وعـزم ثابـت علـى عـدم الرّجـوع إلى الخطيئـة، فالنّعمـة الـتي يوليهـا هـذا السـرّ ترسّـخ النّعمـة المـبرّرة في نفسـنا، لأنّنـا في الواقـع، إذا كنّـا ضـعفاء، عـاجزون عـن فعل الخير، حتّى في حالة الصحّة، فكم بالأحرى يظهر عجزنا، في حالة الضّعف والمرض.

وهنـا يحـتّم علينـا الأيمـان، قبـل اسـتدعاء الطّبيـب واسـتعمال الأدويـة، أن نـدعو خـادم هـذا السـرّ، ليسـتعمل الوسـائل الرّوحيّـة أوّلا، وهنـا لا بـدّ مـن التنويـه، بـأنّ العديـد مـن كهنـة هـذا السـرّ، شـهدوا أمـام اللّـه والنّـاس، بـأنّهم رأوا عـددا لـيس بقليـل، ممّـن حـار الأطبّـاء في شـفائهم، فشـفاهم الطّبيب الإلهي، بواسطة هذه المسحة السريّة.

في مثـل هـذه السّـاعات الأخـيرة، مـا أجمـل تـرداد المؤمن المشـرف علـى المـوت، هـذه العبـارات الـتي كثـيرا مـا نسـمعها مـن مثـل هـذا: " مـا أحـبّ مساكنـك يـا ربّ " تشـتاق وتميـل نفسـي إلى ديـار الـربّ " طالـت غـربتي " أنـا أومـن بـك يـا ربّ " أنـت رجـائي " أحبّـك مـن كـلّ قلـبي " بـين يـديك أسـتودع روحـي " وكثـيرا مـا نسـأل نحـن الكهنـة، أحـد المسـيحيّين الممارسـين المشرفيـن علـى المـوت، هـل أنـت خـائف؟ فيجيـب: " أنـا ذاهـب إلى عـرس " حكـم ربّنـا علـى الـرّأس والعـين " لتتمّ فيّ مشيئة الربّ...
فمـا أجمـل، مـن يـذهب لملاقـاة الـربّ، وفي فمـه الـزّاد الأخـير، لأنّـه قـد انتقـل مـن المـوت إلى الحيـاة ...

فـي الغالـب يمـوت الفـرد منّـا كمـا يعـيش، فلنسـتعدّ مـن الآن، لقبـول المسـحة والميتـة الصّـالحة، حـتّى إذا فاجأنـا المـوت، نهتـف مـع اللـصّ اليمـين " اذكـرني يـا ربّ، إذا أتيـت في ملكوتـك " فنكون مع الربّ في الفردوس. آمين ...

الفصل الرّابع

الأسرار الإلهيّة الثّلاثة

أوّلا : "سرّ الثّالوث الأقدس."

حدّد التّعليم المسيحي، الثّالوث الأقدس بقوله: " هو روح صالح، آب ضابط الكلّ، خالق السّماء والأرض، كلّ ما يرى وما لا يرى "

وعليه لا اله، إلاّ اللّه الواحد، ذي الثّلاثة أقانيم." اللّه الآب خالقنا واللّه الابن مخلّصنا، واللّه الروح القدس مقدّسنا، أي سرّ اللّه الواحد في ثلاثة أقانيم، فاللّه هذا روح صالح حليم، يعلم خفايا الضّمائر.

إنّ بعض العقائد المسيحيّة تدعى أسرارا، ليس إلى ذاتها ولغموضها، بل لضعف عقولنا عن إدراكها وبالنسبة إلينا، علما بأنّ هناك في العالم بالنسبة إلينا أسرارا أكثر من أن تعدّ، فمحض الادّعاء والجهل، أن نقيس معرفتنا، وقدرة عقولنا، على معرفة اللّه وقدرته، وفضلا عن ذلك، اتّه هو من أوحى بالأسرار الإلهيّة: القربان، التجسّد، التّثليث الفداء الخ

كم في هذا العالم من أمور، نعتقد بوجودها، ولا نفهم منها شيئا: كانتشار الكهرباء، الجاذبيّة، الإبرة المغناطيسيّة وانجذابها نحو الشّمال، الأسرار التي في أجسادنا، فمن منّا يعرف، كيف يتحوّل الأكل إلى لحم حيّ؟

في الإنسان جوهران متميّزان، الجسد الجوهر المادّي، والنّفس الجوهر الرّوحي، ومع ذلك فالإنسان واحد أحد، والأسرار فينا وحولنا، وهي نتيجة عجز العقل البشري، عن إدراك كلّ شيء.

رغم ما في الدّيانة المسيحيّة من أسرار، فقد انتشرت وانتصرت وثبتت.

رمز اللّه في العهد القديم، إلى الثّلاثة الأقانيم بقوله: " لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا ". ظهور الملائكة الثّلاثة لإبراهيم، ومخاطبته لهم بالمفرد: " يا سيّدي إن حسن الخ ... في الفصل الثّامن والعشرين العدد التّاسع عشر، من إنجيل متّى، قال يسوع لرسله: " اذهبوا الآن وتلمذوا كلّ الأمم، معمّدين إيّاهم باسم الآب والابن والرّوح القدس، وكم هناك من ذكر في الإنجيل، للمعزّي الروح القدس.

كان القدّيس أغوسطينوس، ذو العقل العجيب، يجلس يوما غائصا، في سرّ الثّالوث الأقدس، حتّى أعياه التّفكير، فراح يروّح النّفس على شاطئ البحر، فوجد طفلا قد حفر ثقبا في الأرض، وفي يده صدفة ينقل بها ماء البحر للثّقب، فتأمّله أغوسطينوس، وسأله ماذا تصنع يا بنيّ فأجابه بهوس، انّي أنقل ماء البحر إلى هذا الثّقب، فاستدرك أغوسطينوس: إنّ هذا يستحيل عليك، فابتسم الطفل وقال له: إنّ هذا لأسهل أن يتمّ لي، من أن تصل أنت، لفهم سرّ الثّالوث الأقدس، وغاب عن أنظاره، فكان ملاكا جاء ليذكّر أغوسطينوس، بأنّه إنسان، وأنّ اللّه لا يدركه عقل.

فاللّه اله ونحن بشر، فلنعتبر ولنسجد ولنعبد، آمين.

ثانيا: "سرّ التجسّد."

روى لنا لوقا في الفصل الأوّل، خبر البشارة، كون يسوع المسيح، هو ابن اللّه المتأنّس.
وانّ الـرّوح القـدس، كـوّن جسـمه في حشـا مـريم العـذراء، وأنّـه شـابهنا في كـلّ شـيء، مـا عـدا الخطيئة.
فالطّبيعـة البشـريّة في المسـيح يسـوع، هـي لابـن اللّـه، وليسـت لـذات بشـريّة، لهـذا في المسـيح طبيعتان:

إلهيّـة وبشريـّة، تنتسـبان إلى ذات ابـن اللّـه، وهـذا هـو سـرّ التجسّـد، وبهـذا المعـنى تجسّـد الابـن، مـن مـريم العـذراء، بقـوّة الـرّوح القـدس وبـدون أن تخسـر بتوليّتهـا. ليخلّصـنا، فهـو الوسـيط الأوحد بين اللّه والبشر.

لـزم التجسّـد، لأنّ الخطيئـة إهانـة غـير متناهيـة، لجلالـة اللّـه، والتّعـويض عنهـا، يجـب أن يكـون موازيـا شـرّها، ولمـا كـان الوفـاء والتّكفـير غـير المتنـاهيين، لا يمكـن لبشـر ولا لملائكـة، أن يقومـوا بـه، وأن يكفّـروا عـن كـلّ آثـام النّـاس، تجسّـد المسـيح ووفى إيفـاء كـاملا، مـن حيـث هـو الـه عـن كـلّ خطايـا البشـر الماضـية والحاضـرة، ولنقتـدي بكمالاتـه، ونتّبـع فضـائله، ونـتعلّم الحقيقـة، مـن فمه الأقدس، وهذا منتهى المحبّة.

عـاش يسـوع ثلاثـين سـنة، مطيعـا مختفيـا، ليعلّمنـا بتواضـعه هـذا، مـا كـان ينقـص البشـريّة مـن تواضع، ثمّ ظهر للعالم، مبشّرا مناديا، بأنّه ابن اللّه، مؤيّدا قوله بالعجائب الباهرة.

فـي المسـيح طبيعتـان: طبيعـة وارادة إلهيّتـان، اجـترح يسـوع بهمـا العجائـب بينمـا الرسـل اجترحوهـا باسمه.
وفيـه مـن جانـب آخـر، طبيعـة وارادة بشـريّتان: صـدر عنهمـا أعمـال بشـريّة، كالأكـل والشّـرب والموت.

ضدّ هذه العقائد الإيمانيّة، قامت هرطقات كثيرة منها:
بدعة الخياليّين: أنكروا ناسوت المسيح الحقيقي.

أتباع أبوليناريس أسقف اللاّذقيّة، أنكروا وجود النّفس العاقلة بالمسيح

الأريوسيّون: أنكروا ألوهيّة وقالوا: هو مخلوق عظيم بين الخلائق.

النّساطرة: قالوا: في المسيح طبيعتان مستقلّتان، وبالتّالي شخصان،
وأنكـروا كـون العـذراء أمّ اللّـه، وأمثـال هـؤلاء كثـر، ومـع ذلـك ذهبـوا مـع الـرّيح، وأبـواب الجحـيم ما قويت على الكنيسة.

لـنكن أعضـاء شـرفاء، في جسـم المسـيح المقـدّس، ولنـتعلّم أن نحـترم الجسـد لأنّنـا لبسـناه، لننمـو ونثمر ونتوّج بالمجد مع المسيح. آمين.

ثالثا : "الفداء."

خطئ آدم وأورث الجنس البشري الشرّ، والدّليل أنّ البشريّة اتّبعت، بعامل هذه الخطيئة الأصليّة الأضاليل، فعبدت الأشخاص والأصنام والشّمس والقمر والكواكب والبحر والفنّ والجبال والجمال، وسائر الرّذائل، وتمرّغت بالفساد فألّهت الزّنى والسّكر والانتقام، فشفق اللّه عليها، وأرسل ابنه الوحيد ليخلّصها، ويعيد النّعمة الإلهية للإنسان كما وعد في سفر التّكوين، وهكذا انتهت حياة يسوع البشريّة بموته مصلوبا، راضيا بهذه الميتة، ليشهد للحقّ.

وبما أنّ الخطيئة إهانة غير متناهية، اقتضت رحمة اللّه ومحبّته، لا أن يرسل ابنه الوحيد إلى البشريّة، متجسّدا فقط لأجل خلاصنا، بل أن يفتدينا الابن، لا سواه من الملائكة والبشر، بذبيحة دمويّة تتجدّد مع الأجيال بشكل غير دموي، لافتداء النّاس ومحو خطاياهم باستحقاقات دمه وموته، ليقوم بعدئذ من الموت بقوّته الذّاتيّة، ويمنحنا بموته وقيامته الغفران والحياة.

تجسّد المسيح ومات، ليعلّمنا الحقيقة من فمه الأقدس، وهذه منتهى المحبّة لنا، وليرجع لنا بتألّمه، البنوّة الإلهيّة والنعم والسّماء، فلنعتبر هنا، كم هو عظيم شرّ الخطيئة، الذي اقتضى له، كلّ هذا التّواضع والحبّ، ولنخف عدل اللّه، ولنفهم سخافتنا ونكراننا الجميل وكفرنا وجنوننا كلّ مرّة نقترف الخطيئة، مع ما يترتّب عليها من نتائج، بلهو واستخفاف ...

بالموت إذا، أتمّ يسوع عمل الفداء، فغسل آثامنا بدمائه، وكفّر عن خطايانا، استرضاء للعدل الإلهي، وعلاوة على ذلك، استحقّ لنا كلّ النعم، التي خسرناها بالخطيئة، صحيح أنّه لم

يرجع لنا، حالة النّقاوة الأولى يوم الخلق، ولا السلطة المطلقة على الشّهوات، بل جعل لنا من الأتعاب والموت وتجارب الشّهوات استحقاقات عظيمة ...

ولننتصر على هذه التّجارب، علّمنا الصّلاة والعبادة، بمحبّة وتفان واستشهاد وقداسة ساطعة، بالقول والفعل والمثل، ودرعنا النعم الفعليّة والأسرار ومواهب الرّوح القدس، وأسّس لنا كنيسة تهدينا إلى طريق خلاصنا، بتعليمها وارشادها.

اشترى يسوع البشريّة عامّة، وبدم كريم، فلنكن جنوده حتّى النّصر الأكيد، هو من أتى ليشهد للحقّ، كما ورد في يوحنّا، انّه حيّ الآن والى الأبد وهو عن يمين الآب، يشفع فينا أليه.

فيا آلام المسيح قوّينا، ويا دمه الطّاهر أسكرنا بمحبّتك، لنفيء بك، وارثين ملكوتك، ممجّد ينك يا فادينا. آمين.

الفصل الخامس

الفضائل الإلهية الثّلاث

أوّلا : "الإيمان."

الإيمـان فضـيلة ومنّـة مـن اللّـه علينـا، نصـدّق بهـا يسـوع والكنيسـة، في كـلّ مـا يتعلّـق بـأمر خلاصنا.

هـو الإيقـان بـالأمور المرجـوّة، كأنّهـا قـد تمّـت بالفعـل، وبمـا لا يـرى، كأنّـه يـرى، لأنّ مـا يـرى زمـني، ومـا لا يـرى أبـدي، لهـذا نصـدّق يسـوع، مـن مـات حبّـا بنـا ولأجـل خلاصـنا، ولأنّـه الحـقّ الـذي ينطـق بمـا يـرى عنـد الآب، ونصـدّق الكنيسـة لأنّهـا تعلّـم تعلـيم يسـوع، كمـا جـاء في التّعليم المسيحي.

مـن هنـا علـى المـؤمن، أن يخضـع رأيـه لـرأي يسـوع الحـقّ، الجاعـل الإيمـان ضـرورة للخـلاص، والقائل: " من يؤمن ويعتمد يخلص، ومن لا يؤمن يدان ".

علـى المـؤمن أن ينمّـي فيـه هـذه الفضـيلة الإلهيـة، بـتفهّم كـلام اللّـه، والعمـل بموجبـه، فـلا يخجـل أو ينكـر أو يشـكّ بالمسـيح وكنيسـته، لأنّ الأيمـان عطيـّة مـن اللّـه، فـلا ننكـر يسـوع كبطـرس، أو نشـكّ كمـا شـكّ الرسـل وأهـل وطنـه، بـل فلنـؤمن إيمـان إبـراهيم، الـذي جعـل إيمانـه بـرّا، وإيمـان النّازفة والمخلّع والأعمى وقائد المائة والأبرص.

إنّ اللّـه لا يغـشّ ولا يغـشّ، وهـو مـن أمـرني أن أعتقـد بهـذا أو تلـك مـن الأمـور الـتي تفـوق إدراك عقلـي القاصـر، وكـون هـذا معقـولا، فلأنّـني لا أفهـم كـلّ شـيء، فـألتزم حـتّى في الأمـور الطّبيعيّـة، أن أصدّق الأطبّاء وعلماء العالم بأمور لا أفهمها، ولا تقع تحت اختباري ومعرفتي؛

وبمـا أنّ الإيمـان يحيـا بالأعمـال، وبـدونها فهـو ميـت، كمـا نـوّه رسـول الأمـم، علينـا أن نثمـر ثمارا تليق بالتّوبة، ولا نعمل عكس ما يرشدنا إليه الصّواب.

هـل مـن المعقـول أنّ ملايـين مـن المنـذرين بالإنجيـل، منـذ ألفـي سـنة يخـدعون نفوسـهم والبشـريّة ويستشهدون بقداسة؟

قـال اللّـه في نبـوءة ملاخيّـا في الفصـل الثّـاني العـدد السّـابع: " شـفتا الكـاهن تقطـران العلـم، ومن فمه تطلب الحقيقة."
وقـال أيضـا: "بـدوني لا يمكـنكم أن تعملـوا شـيئا " مـن هنـا نخضـع للّـه عقلنـا وأرادتنـا، فهـو الـذي ينـير العقـل ويحـرّك الإرادة، ويهـب نعمـة الإيمـان لـذوي الإرادة الصّالـحة، لأنـّه كمخلّـص الجميع، يريد أن يخلص الجميع.

فلنتمسّـك بمـا عنـدنا مـن إيمـان، محتفظـين بـه، لـئلاّ يأخـذ أحـد إكليلنـا، ولنهـتمّ بنفوسـنا، أقلّـه بقدر ما نهتمّ بأجسادنا ...

لقد آمنت بك يا ربّ، فزدني إيمانا. آمين.

ثانيا : "الرّجاء."

بوجـه الخطايـا تنتصـب الفضـيلة، فالفضـيلة هـي مصـلحة الفسـاد وملـح الأرض وملطّفـة غضـب اللّه.

والفضائل على أنواع:

طبيعيّة إذا اكتسبناها بجهدنا الطّبيعي.

فائقة الطّبيعة إذا اكتسبناها وحافظنا عليها بقوّة النّعمة الإلهية.

مفاضة إذا أفاضها اللّه على عباده لغاية إلهيّة.
مكتسبة إذا اكتسبناها بجهدنا.

إلهية إذا كان ينبوعها وموضوعها وغايتها اللّه (مواضيع عظاتنا: الإيمان والرّجاء والمحبّة).

أدبيّة وهي ترجع إلى: الفطنة والعدل والشّجاعة والقناعة.

نأثم ضدّ الفطنة، إذا تعدّينا حدود الصّلاح والفطنة، بالإفراط.

نأثم ضد العدل، إذا تعدّينا على حقوق اللّه والنّاس.

نأثم ضدّ الشّجاعة، إذا جبنّا أمام الواجب.

نأثم ضدّ القناعة، إذا استسلمنا للشّهوات

موضوعنا الرّجاء، هو فضيلة فائقة الطّبيعة، ومنّة من اللّه علينا، ننتظر وعده لنا، أنّه يوصلنا إلى حياة نعيم لا تزول، بنيل الوسائط الضّروريّة للحصول عليها، فلولا هذه الفضيلة الإلهية، لجمدت قلوب البشر، ووقعوا في يأس قاتل، به يحتقرون اللّه الكلّي الجودة والقوّة.
أو يتخبّطون في جسارة، تقوم بالطّمع برحمة اللّه، فتستعصي عليهم التّوبة، ويتّكلون اتّكالا مفرطا على المقدرة الذّاتيّة.

وعد اللّه لنا بحياة النّعيم، ننتظره لأنه صيّرنا بابنه، أبناء له وورثة ملكوته، وهذا الرّجاء يتطلّب منّا، أن نبقى أبناء بررة للّه في الدّنيا هذه، لننعم معه في الآخرة هناك، حيث أجر الصّالحين.

إنّ من لا يترقّب الخلاص لا ينالـه، مع أنّ الرّجاء ضروري للخلاص، لا بل على المسيحي الممارس أن ينمّيه، كلّما تأمّل زوال الدّنيا وخيراتها من جهة، وقيمة المجد المحفوظ لنا في الآخرة، وأمانة اللّه في عهوده، من جهة أخرى.

لهذا ولذاك يخطأ المؤمن، إذا اتّكل على ذاته وحده في عمل خلاصه، أو تمادى في الشرّ، لأنّ اللّه طويل الأناة وكثير الرّحمة ، بينما علّمنا من هو الحقّ والحياة، أنّنا نحيي بالواقع من الرّجاء، الثّبات في وقت التّجارب، والصّبر في الشّدائد، والتوبة بعد الزّلة.

فلنحذر أن نجرّب الربّ إلهنا، لئلاّ نعرّض ذاتنا لضرر بدون حاجة، ونحن متّكلون على اللّه.

كثيرا ما يقود الرّجاء باللّه، والتمثّل بقدّيسيه، وصلب الأجساد مع الآلام والشّهوات، إلى ثمار محبّة اللّه والقريب التي هي: المحبّة والفرح والسّلام، والأناة واللّطف والصّلاح، والإيمان والوداعة والعفاف.

إلهنا! أنت رجاؤنا، فلا تخيّب آمالنا، آمين.

ثالثا : المحبّة

المحبّة فضيلة إلهية، هي منّة من اللّه علينا، كمثيلتيها: الإيمان والرّجاء بها نفضّله على كلّ مخلوق، ونعامل قريبنا كنفسنا، إكراما له

فضيلة المحبّة ضروريّة للخلاص، لأنّ جميع أعمالنا باطلة بدون محبّة، والدّافع إليها، أنّ اللّه هو أبونا، وأنّه الخير الأسمى، وأنّ القريب، أخ لنا وابن اللّه، ونحبّ اللّه عندما نعمل ما يأمرنا به، هو أو كنيسته فلا نفضّل على إرادته شيئا، كما يعلّمنا التّعليم المسيحي.

إذا اشتدّت فضيلة المحبّة فينا، تمحو كلّ الخطايا وقصاصاتها، والدّليل ملايين الشّهداء الذين سفكوا دماءهم، والحبساء الذين هجروا العالم، وملايين المرسلين والرّهبان والرّاهبات الذين نبذوا العالم وشهواته واعتنقوا صليب يسوع، ولولاهم لجفّت المحبّة عن وجه الأرض، وكما نحبّ نفوسنا محبّة مرتّبة، علينا أن نحبّ القريب، المخلوق على صورة اللّه ومثاله، لأنّه مثلنا مفتدى بدم يسوع، وأخونا بالإنسانية، وملتزمون في سبيله، أن نخاطر بنفسنا، وأن نبذل شيئا من أتعابنا وأموالنا، حبّا به، لأنّه عضو معنا، في جسد المسيح السّرّي، وفي مجتمع ينشد السّلام للعالم كلّه.

المحبّة الرّائدة، التي ركّز عليها رسول الأمم بالقول: " من لم تكن فيه المحبّة، هو صنج يطنّ وطبل يرنّ " ويوحنّا الرّسول القائل: " الله محبّة " المحبّة هذه تتطلّب منّا، نبذ الشكّ الشّيطاني، فقد قال يسوع: " الويل لمن تقع على يده الشّكوك " وأقبح أنواع الشكّ ما أضرّ بالإيمان والآداب.

فـوا لحالـة هـذه، علينـا أن نحـبّ القريـب، محبّـة نتمـنّى لـه بهـا الخـير، الـذي نتمنّـاه لأنفسـنا، بهـذا ننمّـي فينـا، لـيس فقـط محبّـة القريـب، والكفـر بملـذّاتنا والتّفـاني في أعمـال الـبرّ والخـير، بـل محبّـة اللّـه، وبهـذا المعـنى، يسـمّى الإيمـان والرّجـاء والمحبّـة فضـائل، لأنّهـا صـفات طيّبـة في الإنسـان، وتـدعى إلهيّـة، لأنّ اللّـه مصـدرها وغايتهـا، فهـي منّـة منـه، تهـدينا إليـه، كعلّـة محبّتنـا ورجائنـا، وموضوع إيماننا.

أعطنـا ربّي أن نحبّـك، وأن نحـبّ فيـك قريبنـا، لأنّـك أحببتـه، يـا مـن أنـت وحـدك الـه المحبّـة. آمين.

عواقب الإنسان الأربع

أوّلا : "الموت."

قال الروح القدس: " تأمّل عواقبك أيّها الإنسان، فلن تخطأ أبدا "
بينما كان يسوع منطلقا، إلى مدينة نائين مع تلاميذه وجمع كثير، وقد اقترب من باب المدينة، رأى ميتا محمولا، وهو وحيد لأمّه الأرملة، فتحنّن الربّ على أمّ الميت، وقال لها لا تبكي، ودنا فلمس النّعش، فوقف الحاملون، وقال: " أيّها الشّاب، لك أقول: قم ... فاستوى الميت، وبدأ يتكلّم، فسلّمه لأمّه!!!

حياة الإنسان في هذه الدّنيا تنتهي بالموت، والموت هو انفصال النّفس عن الجسد، هذا ينحلّ وتلك تدخل الأبديّة، التي تستحقّها، بعد مهلة الاستحقاق، إن ثوابا وان عقابا.
فالموت بهذا المعنى، هو عقاب الخطيئة الأصليّة،

من الضّرورة أن يناقشنا اللّه الحساب بعد موتنا، ليثيبنا أو ليعاقبنا، وهذه تدعى العواقب

النّفس الخالدة لا تموت كالحيوان، وإلاّ لكنّا أشقى المخلوقات

إنّي أموت:
معناه أنّي أترك الكلّ: الأقارب، الأصدقاء، عائلتي، داري، أثاثي أملاكي، إذا الموت يد ركني، ويجرّدني منها غصبا عنّي .

إنّي أموت:
معناه بانفصال نفسي عن جسدي، أصبح مكروها بالجسد، لخبث ريحه وسمّه وأذاه، فيسرع حتّى الأقارب والأصدقاء، إلى التّخلّص من هكذا جثّة منتنة، ومن جسد فساد ورماد، كم رفّهناه ودلّلناه وزيّنّاه وكم وكم من الذين قد عرفناهم وماتوا ...
إنّي أموت:
متى وكيف أموت؟

قال داود النّبي: " بيني وبين الموت خطوة " إنّ معدّل الذين يموتون على وجه الأرض في السّاعة، أربعة آلاف وخمسمائة إنسان، وفي الدّقيقة، ستة وسبعون شخصا، فما هي ساعتي أنا ودقيقتي الأخيرة في هذه الدّنيا؟ قال الفادي: "كونوا مستعدّين لأنّ ابن الإنسان يأتي في ساعة لا تظنّونها " وقد أخفى اللّه عنّي اليوم الأخير، كما قال القدّيس أوغوسطينوس، لكي أكون مستعدّا على الدّوام، ولا أتراخى يوما واحدا في شأن خلاصي وتقديسي، فربّما استيقظت يوما معذّبا بنار جهنّم ...

ثمّ كيف أموت؟ هل فجأة بغير استعداد، كما مات كثيرون غيري، هل أموت بمرض يفقدني حواسّي والتكلّم، ويمنعني من الاستعداد للموت، أم اثر مرض طويل؟ فلا يجسر من حولي أن يفاتحوني بدعوة الكاهن، ليمشحني المشحة الأخيرة ...

هل أموت في البيت أم في الكنيسة أم على فراشي أم في السّوق أو على الطّريق، بمرض الحمّى أو الفالج في الجوّ في البحر في أي مكان تحت الشّمس، موتا عاديّا أو غير عادي، الآن أو بعد خمس سنين أو عشر أو ثلاثين، ولربّما في هذا الشّهر، أو في هذه اللّيلة والسّاعة والدّقيقة والثّانية، اللّه وحده يعرف، وقد قال لي: الموت يأتي كاللّص، ينبّهني إلى أمر الموت،

فأشاهد بعينيّ الحسّيّتين الشّيوخ والشبّان والفقراء والأغنياء والخطاة والقدّيسين يموتون، مريم العذراء ماتت ويسوع مات، ومن الحماقة والجنون أن أعتمد، على هذه السّاعة الأخيرة، لأدبّر أعظم أمر في الدّنيا وأخطره، وهو أبديّتنا السّعيدة أو الشّقيّة.

بما أنّنا نجهل زمن الموت، يجب أن نستعدّ له، اليوم وغدا وعلى الدّوام، بترتيب أمورنا الزّمنيّة، واعترافاتنا ومناولاتنا واتمام واجبات حالتنا، وبانتباه وحرارة وإتقان، وكفى بالموت فضلا، أنّه يحدث فينا انقلابا في كلّ سلوكنا وتصرّفاتنا، لا بل يحسن قضاؤنا، إذا أحسنّا التأمّل فيه، كما قال ابن سيراخ.

أيّها المسيحيّون!
يقال لتأكيد أمر من الأمور: " انه أكيد كالموت ".
فكر الموت يزيدنا نموّا وكمالا في الحياة الرّوحيّة.
يبيّن لنا قيمة الزّمان والأبديّة.
يكشف لنا بطلان هذه الدّنيا مع لذّاتها وغناها ومجدها.
وكيف يجب أن نحتمل الشّدائد التي نمتحن بها.
وكيف يجب أن نتحرّر من السّرّاء أو رفاهية العيش التي تجرّبنا.
ومن الخفّة والطّيش اللّذين يشتّتاننا، ومن الكبرياء التي تنفخنا ، ومن الفتور الذي يخدّر أعصابنا، ومن الاستخفاف والاستهتار اللّذين نقابل بهما أمر خلاصنا.

إذا على فتحة الفم الأخيرة وغلقه، على دقيقة الموت تتعلّق الأبديّة كلّها، سعيدة كانت أم تعيسة، وسنفهم عند ذاك من هو الحكيم العاقل، ومن هو الجاهل، أذاك الذي عبد اللّه، أم الذي استخفّ به تعالى وبديانته ووصاياه!

قال المعلّم تاودوريطوس: " إنّ الموت لا يخاف من الغني ولا يهاب الحرّاس والجنود ولا يكرّم البر فير والأرجوان ...

وأخبر القدّيس أنطونيوس، بأنّه حين مات الإسكندر الكبير، هتف أحد الفلاسفة قائلا: ها هوذا الذي بالأمس، كان يطأ الأرض بقدميه وطأته الأرض بقدميها ...
وقال ثان: هذا الذي لم تكن كرة الأرض بجملتها، كافية لرغباته، تكفيه الآن منها، سبعة أشبار فقط لدفنه فيها ...

وقال ثالث: هذا الذي كان يقود على وجه الأرض، الجيوش الجرّارة يقوده الآن أنفار قلائل من الحمّالين، في طريق القبر، ليلحد في قلب الأرض ...

حينما اختير القدّيس فرنسيس بورجيا، ليصحب جثّة الملكة الصابات
إلى مدينة غراناتي، فتح هناك الصّندوق الموجود فيه جسمها، فابتعد من حضر إلى الوراء، لشدّة رائحة النّتانة، المنبعثة من تلك الجثّة، إلاّ أنّ القدّيس فرنسيس، بالهام سماوي، لبث واقفا متفرّسا في تلك الملكة، ومتأمّلا في كيفيّة بطلان المجد العالمي، ثمّ هتف قائلا ومخاطبا ذاك الجسم: " أنت هي إذا ملكتي الصابات، أنت هي التي كان ينحني لها العظماء، جاثين على ركبهم، توقيرا وتكريما لها، أين ذهبت عظمتك أيتها المرأة، أين غاب جمالك الفريد، ألهذه النّهاية تصل التّيجان الملوكيّة، من الآن وصاعدا، يجب أن أخدم سيّدا لا يموت، وهكذا بعد أن ماتت زوجته، دخل الرّهبنة اليسوعيّة وصار راهبا قدّيسا.

كان حزقيّا ملك اليهود . الجيل السابع قبل المسيح . مصابا بمرض ثقيل وملازما الفراش، فأتاه النّبي آشعيا، وقال له من قبل الربّ: " رتّب أمور بيتك، فانّك تموت " فارتعدت فرائصه من شدّة الخوف، وأدار وجهه إلى الحائط وشرع يصلّي: " ألتمس منك يا ربّ أن تتذكّر أنّي

سرت دائما أمامك، بإخلاص وباستقامة القلب، عاملا ما يحسن في نظرك " وهكذا يفهمنا الموت، بطلان المال والملذّات والمجد.

رأى اسكندر المكدوني، الفيلسوف ديوجانس متجوّلا بين القبور، فسأله ماذا تفعل؟ أجابه: أبحث عن جمجمة أبيك، فذهب جهدي سدى، لأنّي لا أستطيع تمييزها، عن جماجم أحقر النّاس، فهل تقدر أن تدلّني عليها؟ فتأثّر الاسكندر وأمر أن تمدّ بعد موته، إحدى يديه قاحلة وفارغة خارج نعشه، لكي يفهم البشر أنّه، مع كلّ عظمته وغناه، قد غادر الدّنيا كما دخلها صفر اليدين ...

ملايين من البشر يموتون فجأة، ففي بلزانو بإيطاليا، في الربع الأوّل من القرن العشرين هذا، كان الجندي شما لينكر، واقفا أمام خطّيبته، في كنيسة بحضرة الكاهن، المزمع أن يبارك زواجهما، سأله الكاهن: " هل تريد أن تعقد قرانك على خطّيبتك هذه " وسقط الجندي ميتا، قبل أن يجيب على السؤال ...

كثيرون أيضا من يموتون ميتة الأبرار، نظير القدّيسة تريزيا الطفل يسوع، فقد حانت منها التفاتة، وهي على فراش الموت، نحو رفيقاتها اللّواتي يبكين صباها، فقالت لهنّ:" إذا كنتنّ تحببنني، افرحن معي، أنا ذاهبة لاستقبال يسوع، وبدأت قصيدتها الخالدة " أنا أموت حتّى لا أموت."

وهناك من يموت ميتة الأشرار، كما مات زينون، إمبراطور القسطنطينيّة . أواخر الجيل الخامس للمسيح . سكر يوما من الأيّام سكرا شديدا، فظنّوه ميتا ودفنوه حيّا، فلمّا فتح قبره بعد حين، ثبت أنّه أكل لحم ذراعيه.

وكم وكم من مجانين، لا يستعدّون للموت، مثال ذلك، أنّه كان في قصر أحد الملوك، مجنون قال له مولاه: " إذا وجدت أحدا أشدّ منك جنونا، فلا تنس أن تأتي به إليّ ". في ذات يوم، أصيب الملك بمرض شديد، وكان مع ذلك، يؤجّل توبته، فقال له المجنون: " يا مولاي أمامك سفر طويل بلا عودة . نعم . هل أعددت اللاّزم لذلك السّفر . لا . إذا يجب عليّ أن أدلّك على شخص أشد جنونا منّي! أنت هو ... فتأثّر الملك من ملاحظة المجنون السّديدة، وعدّها وحيا سماويّا، وإلهاما من اللّه، وأدرك خطأه في تأخير توبته، واستعدّ للموت خير استعداد ...

وهكذا إذا أصلحنا نفسنا اليوم، وأزلنا الحاجز بيننا وبين اللّه، يطمئن بالنا أيضا، نظير القديس مار لويس غونزاغا، الذي سئل: " ماذا تصنع إذا داهمك الموت وأنت تلعب؟ فأجاب فورا " أظلّ ألعب " قال هذا، لأنّه كان طاهر القلب، فلا يخاف الموت غير الأموات بالخطيئة المميتة ...

فلنستعدّ للموت بحياة صالحة لميتة صالحة، فالموت يفهمنا غاية حياتنا، فبناء على ما سبق، لتكن عاطفتنا في كلّ حين، كلمة القدّيس برنردوس: " لو كنت مزمعا أن تموت بعد هنيهة، هل كنت تفعل هذا أو ذاك؟؟؟

فيا ربّ قوّنا على الاستعداد الدّائم للموت. آمين ...

ثانيا : "الدّينونة."

بعد الموت يعود الجسد إلى التراب، لدينونتين: الواحدة خاصّة، لما بعد الموت مباشرة، والأخرى عامّة، بعد تلك.

إنّي أموت، معناه أنّ نفسي، تمثل أمام منبر اللّه الرّهيب، وحدي أمام اللّه، أؤدّي حسابا دقيقا، عن كلّ حياتي للّه الدّيّان، الكلّي العدل والكلّي العلم، والكلّي البغض للخطيئة، والذي يكون حينئذ بلا شفقة وبلا رحمة، ولكي أنجو من هذا الحكم المخيف، ليس لي سوى واسطة واحدة، هي أن أدين نفسي، بكلّ شدّة في هذه الحياة، حسب تعليم الرّسول القائل: " لو كنّا ندين أنفسنا، لما كنّا ندان ".

لا يمكن أن يكون اللّه، أقلّ عدلا من النّاس، فيهلك النّفس أو يسعدها دون محاكمتها، لقد أعطانا مهلة للثّواب أو العقاب، بعد أن سنّ لنا الشّرائع، ومن العدل والصّواب بعد الموت، أن يفعل الربّ هذا، لأنّنا كثيرا ما نرى في هذا العالم البارّ يشقى، والشرّير يسعد.

عقيدة إيمانية إذا، الدّينونة العامّة هذه، التي تتمّ بعد قيامة الأجساد، وهذا واضح، لا بعلوم الفلسفة، بل بالوحي الإلهي، في أسفار أيّوب آشعيا وحزقيّال ودانيّال والحكمة والمكابيّين، وفي إنجيل يوحنّا، ورسالة الرّسول بولس إلى أهل كورنتس وروما وفي رسالته الثّانية لتلميذه تيموتاوس، وقد فسّر علماء الكنيسة هذا بقولهم: من الموافق جدّا أن يقوم الجسد مع النّفس، ليشهد مجدها أو خزيها يوم الدّينونة، فيشاركها بالمجد، كما شاركها بالعناء والجهاد هنا، أو ليحتمل معها العقوبات، بعد أن شاركها بالآثام، على هذه الأرض.

يفيض اللّه على الأجساد البارّة بعد الموت، مجدا فائق الطّبيعة، مانحا إيّاها صفات: عدم التألّم والموت، اللّطافة، فتخترق الأجسام الكثيفة، الخفّة تجتاز بها المسافات بسرعة مدهشة، الضّياء، فتسطع الأجسام كالشّمس.

لم تحدّد الكتب السّماويّة مكان الدّينونة، لكن ورد في التّقليد المتناقل كلمة " وادي يوشفاط " وتعني " وادي اللّه الحاكم " ومن المرجّح أن يكون الحكم، كما تعلّم الكنيسة، بالاستنارة الذّهنيّة، بحيث يرى كلّ إنسان أعمال باقي النّاس، وبعد الدّينونة يصعد الأبرار بأجسادهم إلى السّماء، وينحدر الأشرار بأجسادهم الى الجحيم.

ربّنا! أظهر نتائج مجدك ونعمك وقداستك فينا، وقوّنا على الاستعداد الدّائم ليوم الدّين العظيم. آمين.

ثالثا : "الجحيم."

يعقب الدّينونة الخاصّة، العقاب العادل، وجزاء النّفس الخاطئة، الهلاك الأبدي في جهنّم، حيث العذاب الشّديد الأبدي، للنّفس الخاطئة مع الشّياطين، وعذاب جهنّم يقوم بحرمان الإنسان، من مشاهدة اللّه أبيه إلى الأبد، واستحقاقه عذاب النّار الأبدي.

في أمكنة عديدة من الكتاب المقدّس، آيات عديدة تثبت وجود جهنّم وقد أثبتها السيّد المسيح بذاته، منها ما ورد في الفصل الخامس والعشرين من إنجيل متّى حيث يقول: "حينئذ يقول أيضا للّذين عن يساره، اذهبوا عنّي يا ملاعين، إلى النّار الأبديّة، المعدّة لإبليس وملائكته."

يثبت العقل وجود جهنّم ، لأنّه ليس من العدل والصّواب، أن ينتهي الظّالم والمظلوم نهاية واحدة، فيكون اللّه والحالة هذه، أقلّ مقدرة وحكمة وعدلا، من حكّام هذه الأرض، فهناك شرائع، وهناك عقوبات للمخالفين، وكما في السّماء كذلك على الأرض.

ما كان عقيدة عامّة عند كلّ شعوب الأرض، بمن فيهم الفلاسفة والعلماء، حتّى في العصور الحجريّة والجاهليّة، وفي كلّ مكان وزمان لا يمكن أن يكون مغلوطا.

كما أنّنا لا نعلم أيّ سجن سنزج فيه إذا أذنبنا، لا نعلم أين هي جهنّم الأهمّ أن نعرف أنّ جهنّم موجودة، فما يهمّنا أن نعرف أين هي! وأننا هناك لا سمح اللّه سنحرم من مشاهدته، وفي عذاب غير متناه سنخسر من هو غير متناه، وسنعاني فضلا عن ذلك عذاب الحسّ ، وهذا ثابت من قول المسيح . الكلمة الحقّ . في الفصل الثاني والعشرين من متّى: " أخرجوا

العبـد البطّـال، إلى الظّلمـة البرّانيّـة حيـث البكـاء وصـريف الأسـنان " وأيضـا: " حيـث دودهـم لا يموت، ونارهم لا تطفأ."

أخـيرا يجـب أن نعلـم، بأنّـه لا يهلـك إلاّ المائـت بالخطيئـة المميتـة، وكثـيرون مـن الخطـأة، تنتشـلهم نعمـة اللّـه مـن الخطيئـة، علـى فـراش المـوت، أو لجهلهـم أو لعـدم الرضـى التّـام بالـذّنب، فضـلا عـن شـفاعة العـذراء مـريم، للمتعبّـدين لهـا، ودمـاء المسـيح المسـفوكة، لأجـل الخطـاة وبهـذا المعـنى، لا يجـب أن نحكـم سـلفا بهـلاك الكثـيرين، فرحمـة اللّـه عظيمـة وهـي تسـبق عدلـه، وسـنعرف عظمتها في السّماء. آمين.

رابعا: "النعيم أو السّماء."

يعقب الدّينونة الخاصّة،، الجزاء العادل، وجزاء النّفس البارّة، الحياة الأبديّة في السّماء، حيث تنعم بمشاهدة اللّه وجها لوجه، وسعادة النّفس في السّماء تفوق كلّ وصف، كما قال القدّيس بولس: " إنّ ما أعدّه اللّه لمختار يه، لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر."

نعم إنّ اللّه في كلّ مكان، لكنّه في السّماء بأسمى وأشرف تجلّي، يسعد برؤياه الأبرار، سعادة تفوق التصوّر البشري، فاللّه محبّة وبما أنّه محبّ، يريد أن يشرك محبّيه في خيره وسعادته، فهل من المعقول، أن ينسى أبراره ، الذين احتملوا الأمرّين حبّا به، فيحتجب عنهم ويمنع عنهم السّعادة التي وعد بها مختار يه.

وعدنا اللّه بمشاهدته لنسعد، وتبنّانا بالنّعمة المبرّرة، بعد أن مات لأجلنا، فبقدر ما نستحقّ نشتهي، وبقدر ما نشتهي ننال، وقلوب الأبرار في السّماء، طافحة بالسّعادة لعاملين اثنين: هما العقل الطّامح الى المعرفة الكاملة، والإرادة الطّامحة إلى الخير الكامل، وفي اللّه نستريح الرّاحة الأبديّة، كما قال القدّيس أوغوسطينوس: " سيظلّ قلبنا قلقا مضطّربا، إلى أن يستريح فيك أنت وحدك يا الله."

كلّ أميال الإنسان هنا، كالحبّ والغضب، وما يشبه هذه، تتحوّل هناك للخير، فتشغف باللّه وحده، في أورشليم العلويّة، كما شغف به شابّ الإنجيل، يوم سأل يسوع قائلا: " يا سيّد ما الذي أعمله لأرث الحياة الأبديّة؟ فيجيبه الربّ: " إن ترد أن تدخل الحياة، فاحفظ الوصايا...

عندما نصلّي، عندما نعترف بأنّنا خطأة، ونطلب من اللّه أن يغفر لنا عندما نعترف بأنّنا لا نقدر أن نعمل شيئا، نعرف آنئذ الطّريق المؤدّية إلى السّماء، ونكون حصاة في بناء ملكوت اللّه.

خير ما نختم به عظة السّماء، قول السيّد المسيح له المجد: " بل اكنزوا لكم كنوزا في السّماء، حيث لا يفسد سوس، ولا السّارقون يسرقون وفي عظة الجبل، مفاتيح السّماء، للوصول الى الكنز السّماوي، واقتناء الكنز في السّماء يتطلّب، تنازلا كلّيّا عن الاتّكال على شهوات العالم والجسد والشّيطان، وبالتّالي احتمال الآلام، والأيمان بدم المسيح لمغفرة الخطايا، والعمل بموجب وصاياه ووصايا كنيسته وقبول أسرارها والإيمان بما تؤمن به وتعلّمه...

فلا تحرمنا سماك، يا ربّ السّماوات. آمين.

رياضتان روحيّتان

مقدّمة:

قال يوحنّا الإنجيلي: " في البدء كانت الكلمة، واللّه هو الكلمة ".

كان المسيح ولما يزل، مفتاح وقلب الرّسالة، جاء ليشهد لها، وهو يطلب أن نعمل لها، ونقيسها على مثاله، وهذا ما يحملنا على التّضحية على مثاله بالنّفس.
كل عظة في هذا الكتاب، كلّ رياضة، بناء على صخر، يلجه المؤمنون النّاشطون العاملون المستجيبون، لداعي الغيرة الرّسوليّة والضّمير، وإذا بهم ذلك التّاجر، الذي باع كلّ ماله، ليشتري الدرّة الثّمينة، ويضمن الحياة الأبديّة.

إنّ ربيع التجدّد في الكنيسة، بدأ ببدء عمل الإرشاد الرّسولي، ونحن لم نأت بجديد، كما نوّهنا أكثر من مرّة، في هذا الكتاب، بل هي دعوة جماعيّة، كي يشتمّ المؤمنون أريجها، فتتدفّق وتتفجّر ينابيع حياة، في الأفكار والأقوال والأفعال، ليكون فينا ما في المسيح يسوع.

لم نستوح نظريّات عالقة بالغيوم، بل عظات رياضتين أسبوعيتين، مستمدّة من حياة السيّد المسيح وأعماله، بكلّ أبعادها ومقتضياتها، ومن خبرة زمنيّة، في الخدمة الكهنوتيّة، فالمسيحي كالكنيسة، لا يمكنه إلاّ أن يكون، ابن زمانه، في إبلاغ البشارة، أنّى وحيث كان، والتقيّد بجوهر الإيمان والعقيدة المسيحيّة، بهذا نوفّق بين حياتنا وحياة اللّه.

عسى أن تقع هذه العظات بمواضيعها الرّوحيّة المنتقاة، في أرض النّفوس المؤمنة، كحبّة الحنطة الجيّدة، فتنبت سنابل روحيّة، سداها ولحمتها ، حقائق إيمانيّة فاعلة، تروي الجوع للسّماويّات، وتروي الظّمأ، تطلّعا إلى نور المسيح.

الرّياضة الأسبوعيّة الأولى، لأسبوع الآلام:

موضوع نهار الاثنين: "وصعد وحده إلى الجبل يصلّي."

تحضير الروح القدس: أيّها الروح القدس، هلمّ وأرسل من السّماء شعاع نورك، هلمّ يا مانح المواهب، هلمّ يا ضياء القلوب، اعطنا مواهبك السّبع، بدّد الظّلمات السّاكنة عقولنا. آمين.

مقدّمة: في إطار التّحضير لسنة الألفين للمسيح، وبعدما تأمّلت الكنيسة بوجه الابن، إنسان حقّ واله حقّ، في السّنة 97، وركّزت على قوّة الرّوح والحرّيّة، التي أعطيناها في السّنة الماضية 98، ندخل في السّنة الثّالثة هذه 99، لنكتشف ونعيش وجه الآب أبانا.
وحدها المسيحيّة، تعيش هذه العلاقة، مع اللّه.
مع المسيح، اكتشفنا وجه الأبوّة عند اللّه، المسيح القائل: أنا والآب واحد.
والروح ينطق فينا، ويجعلنا نصرخ " أبّا " أيّ أبانا.
علاقة البنوّة الطبيعيّة، واقع نلمسه ونعيشه.
هي هي علاقة البنوّة الطّبيعيّة، لكن على المستوى الإلهي.
فاللّه واحد أحد، هو الذي هو، خالق مدبّر حكيم.
ومع الابن، والروح القدس، تشكّل وحدة ثالوثيّة كاملة.
فحتّى يتحقّق ملكوت اللّه الآب على الأرض، يجب أن نعيش ما نقوله على الأرض: كلّ دقيقة وساعة، الصلاة الوحيدة، التي علّمنا إياها المسيح الابن، أبانا الذي في السّماوات ...

فعلى هذا الخيار، تتحقّق الذّات، ويتحقّق المصير للأبد.
من هنا، دعا اللّه بشخص ابنه يسوع الرسل، ليكونوا صيّادي النّاس، لبناء ملكوته.

بدل السّمك، لم يعطهم واحدة، من أدوات النّجاح، وفق منطق العالم.
ما أعطاهم فلسفة اليونان، ولا جبروت الرّومان، ولا سمح لهم برياء الفرّيسيّن والكتبة، ولا بغنى الأغنياء، أو أن نستعطي لنعيش، " فمن لا يشتغل لا يأكل " و بعرق جبينك تأكل خبزك " بل أعطانا روحه، لينطق فينا، ساعة الاضطّهاد، ويرشدنا إلى الحقّ، ليتقدّس اسم اللّه، ويأتي ملكوته.

موضوعنا إذا اليوم، هو الصّلاة.

وجد لنا المسيح قائدا ومعلّما، لقد عاش ما عاش، في طيّ الخفاء، فكانت حياته، سلسلة رياضات شاقّة، إلى أن صعد إلى الجبل يصلّي، وهناك، أيّة رياضة قام بها، أي تقشّف صنعه؟

صعد وحده ليصلّي، متطلّعا إلى السّماء، المرصّعة بالنّجوم، بازاء أبيه السّماوي، كلّ ذلك لماذا؟ ليعرّفنا قيمة الرّياضة، وضرورة الرّياضة، وعلى منواله نسج القدّيسون، وصنعوا رياضات جمّة، على غرار قائد هم، ولطالما تشكّى برنردوس قائلا: بقدر ابتعادي عن قلاّيتي، كنت أبتعد عن اللّه وعن السّماء، وقال آشعيا: " خرابا خربت الأرض، لعدم وجود من يتأمّل فيها.

تنصرم الشّهور والسّنون وتتوالى، ولربّما الدّهر، ونحن كما نحن، دون تأمّل ورويّة، بما كان أو بما عساه أن يكون.، وبهذا المعنى، قال أحد شعراء الرّجل:

الأ يام غفله والدّني محطّه والعمر سهره والسّهر غطّه

وابن البشر عال أرض نقطة حبر ما بيقدر المكتوب يتخطّى
وحتّى لو تغطّى بحرير وتبر بدّو بشبر تراب يتغطّى.

ولكم كان يردّد أغوسطينوس، هذه الجملة " أنيّ بحاجة إلى شهرين في كلّ سنة، أدبّر بهما زمام نفسي وأمر خلاصي، " وهكذا القدّيس أمبروسيوس وايرونيموس وفرنسيس كسفاريوس وأتناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس النزينزي وخلافهم. هؤلاء كلّهم، انقطعوا عن ضجيج هذا العالم، إلى حياة السّكينة والصّمت والتأمّل، وما كان ذلك إلاّ، لأنّهم عرفوا بأنّ أمام الرّياضة، والرّياضة وحدها، تتبدّد أفكار العالم، وتمّحى صوره.

والآن وقد وفّر لنا المسيح الرّياضة، بشخص سيادته، ورغبة حضرة كاهن رعيّتكم، متعهّدي أرواحكم، حقّ لنا أن نتجرّد، كلّ شيء، عن كلّ ما من شأنه، أن يربطنا في العالم، رغبة منّا، أن نصنع أمر خلاصنا، وأمر خلاصنا مهمّ، ومهمّ أكثر من كلّ أمر في حياتنا.

أبدع المسيح الجميع، ونحن أفراد من هذا الجمع، خلق العالم ونحن من العالم، لقد كان يقدر أن يدعو، أو ينتخب للمسيحيّة غيرنا، كان يمكنه أن يخلقنا وثنيّين ملحدين، فكم وكم في هذا العالم، من هم لربّما أحسن منّا، ولكنّه فضّلنا على غيرنا، وانتقانا من أبوين مسيحيّين، حتّى تتوفّر لنا بالأكثر، الوسائط الضّروريّة لنوال خلاصنا، على أهون سبيل، وكلّ ما في العالم، شهوة العين، ولذّة العيش، وفخر الجسد.

أيّها الاخوة المسيحيّون.
على إتقان الرّياضة، يتوقّف خلاصكم وشقاؤكم، وحتّى تكون الرّياضة لخلاصنا، لا بدّ لها من شروط:

يجب على كلّ منّا، وقد حمل نيره المسيحي منذ صغره، أن يجلس الآن، صامتا سامعا متأمّلا.
أن يطبع في عقله الغاية: التي عليه أن يحقّقها في هذه الدّنيا.
وأن يتمّ القصد: الذي قصده الربّ، إذ أوجدنا في العالم، وأعطانا الحياة، أي لسنا على الأرض، لنتمتّع بالملذّات والأموال والمجد العالمي، بل لنعبد اللّه ونخدمه، وبذلك نخلّص نفوسنا.

تتمخّض عن ذلك، أربع نتائج لازمة، بالنّظر إلى استخدام تلك الخلائق:

أوّلا: لا يحقّ لنا استخدامها، إلاّ لخدمة اللّه، وخلاص نفوسنا.
ثانيا: لا قيمة للخلائق، إلاّ بمقدار مساعدتها لنا، على خدمة الربّ، وخلاص نفوسنا.

ثالثا: وبما أنّ الخلائق كلّها، هي لنا وسائل، للبلوغ إلى غايتنا، يجب أن نكون بلا ميل إليها، من حيث هي هي.

رابعا: عندما يعرض لنا، الاختيار بين خليقتين، يجب دائما أن نختار، تلك التي توصلنا، بالطّريقة الفضلى، إلى غايتنا.

بهذا فقط، بهذه الرّوح البعيدة، عن روح العالم، نعرف الضّلال، الذي استسلمنا له، إذ صيّرنا الخلائق، غايتنا الأخيرة، بينما هي ليست سوى وسائل، تساعدنا على الوصول إلى اللّه.

أمور في أمور تحول، دون اهتمامنا بأمر نفوسنا، فان صهرنا فلا نذوب كالشّمع، وان عكّر صفاء حياتنا المسيحيّة معكّر، فلا نستسلم إلى الترّهات والسّفسطات، التي بها يختبئ الفساد، تحت لباس الفضائل الظّاهرة، " ومن يصبر إلى المنتهى يخلص."

تمثّلوا أعمى أريحا، إنّ صرخاته المتتالية، إذا ما تنصّتنا إليها الآن بانتباه، طنّت في آذاننا، طنين التذكّارات، في وادي ظلال الحياة، هذا الأعمى الجري ء الذي ما زاده حنق النّاس وزجرهم إيّاه، إلاّ تنشيطا وصراخا: " يا ابن داود ارحمني ".

أيّها الاخوة!

لقد أعمت الخطيئة بصرنا، وهشّمت بصيرتنا، وجرّعتنا سمّا قاتلا. لقد أصبحنا في ظلام دامس، نتخبّط خبط عشواء، فمن السيّد المسيح يجب أن نطلب الحياة والرّاحة والنّور، ولكم قال النّبي، إذ تمثّل الحياة وخطرها: " اهربوا من وسط بابل، إنّ صوت اللّحم صوت العالم، يمنعنا من أن نتمّم أعمالنا الخلاصيّة، عن أن نتمشّى على قاعدة إلهية، توصلنا إلى مبتغانا الأخير، والى غايتنا القصوى.

إذا مرض أحدكم، يعاني مشقّات السّفر، بانتقاله إلى مدينة أخرى، وهناك يستدعي الطبيب، ويختلي به، عارضا عليه أسقامه وعلله غير خاف عليه أقلّ شيء، لأنّه يعلم أنّه إذا أخفى، سيؤول ذلك، إلى سلسلة حياة مؤلمة، ولربّما إلى الموت العاجل.

إنّ ذلك الطّبيب هو المسيح، نحن وحدنا الآن معه، فنختل به، ولنعرض عليه أمراضنا ومصائبنا، دون أن نخفي شيئا، فعلى الوضوح وشفافيّة الرّوح، يتوقّف الخلاص، وعلى طرحنا خارجا، كلّ المفاسد والعادات الشرّيرة، تقوم سعادتنا العتيدة .

انفرد آلياّ في البرّيّة، أربعين يوما، فأنزل النّار من السّماء، والتهمت محرقات الوثنيّين، وأقام ابن الأرملة من الموت، كلّ ذلك من انفراده على الجبل،

موسى، لولا البرّيّة، ما تراءى له الربّ، ولا أعطاه الوصايا.

على مثال هؤلاء، يجب أن نسير نحن، ففي القفر الرّياضي، يتراءى لنا المسيح، لا وسط ضجيج الأعمال، والمهامّ المتنوّعة، من تجارة وزراعة وصناعة ودراسة.

الرسل، قبل اختلائهم في العلّيّة، علّيّة صهيون، كانوا جهلة جبناء، خرجوا منها، فدوّخوا وجه الأرض، وغيّروا مجرى الطّبيعة؛ بشّروا في جميع الأقطار، بجرأة ليس لها مثيل، وبإقدام لم يسمع بمثله، لم يعبأوا بما كان الحكّام العالميّون وأعداء الدّين، يسومونهم من ضروب العسف والجور، ولا بما كانوا ينزلونه بهم، من صنوف العذاب، وألوان الاضطّهاد، وأكبر دليل على ذلك، هو جواب القدّيس بطرس هامة الرّسل للوالي، ومحفل القضاة في أورشليم، إذ قال لهم: " إنّ اللّه أحقّ من النّاس بأن يطاع ".

دخل ايليّا، مغارة في الجبل، وبات فيها، وصار يخاطب اللّه، واللّه يجيبه، وأفهمه اللّه، أنّه سيمرّ أمامه، وراح ايليّا، يترقّب ما سيحدث، وكيف سيظهر له اللّه ، فحدث ريح عظيمة وشديدة، تصدّع الجبال، وتحطّم الصّخور، ولم يكن الربّ في الرّيح، وبعد الرّيح زلزلة، ولم يكن الربّ في الزلزلة، وبعد الزّلزلة نار، ولم يكن الربّ في النّار، وبعد النّار، صوت نسيم لطيف، فلمّا سمع ايليّا، ستر وجهه بردائه وخرج، ووقف بمدخل المغارة ... وحينئذ سمع في النّسيم الخفيف، صوت اللّه يشجّعه ويرشده ...

هذا الموضع من التوراة، هو من أعمق، ومن ألذّ ما فيها، ففي الصّمت والصّلاة، في النّسيم اللّطيف النّاعم، يسمع صوت اللّه.

ونحن بهمّة قعساء، بالصّمت، بالصّلاة، بالنسيم اللّطيف النّاعم، بالرّياضة، يجب أن نعمل لخلاصنا، وبالتّالي لخلاص أنفسنا، والخلاص يتطلّب الكثير من التجرّد،، التجرّد عن العالم الباطني، وعن العالم الخارجي.

عن الباطني بأن نهرب من شهوات الميال الشرّيرة والرديئة؛

وعن الخارجي من الخنوع والكسل والكبرياء؛،

وبالاختصار من كلّ ما من شأنه، أن يوقظ فينا المحرّك الأوّل للخطيئة.

لنتأمّل بالقراءات الرّوحيّة، بالمواعظ، بالكتب المفيدة، بالآداب، حيث يكلّمنا الربّ ويناجينا: " ليس أنتم بالمتكلّمين، لكن روح أبيكم هو المتكلّم فيكم " فلنجاهد بقوى لا تعرف الكلل، ليمكنّا أن نأتي بالثّمار، وتدوم ثمارنا".

شروط الرّياضة: الصمت، الاختلاء، والتنحّي عن كلّ مهامّ العالم، وما الغاية من الرّياضة، إلاّ التغيّر بأفكارنا وعقولنا وحياتنا وطرق أعمالنا، وليس التغيّر قائما، بتعداد الزيّاحات والصلوات والرتب والطقوس الخارجيّة، وباطننا على ما هو عليه، بل قائما باستحضار حياتنا الماضية، وتمحيصها وتحسينها، قال آشعيا: " الغاية من الرسالة هي قطع وهدم وبناء

إذا لا يمكننا أن نعبد يسوع أكثر من عبادتنا إيّاه، على مذبحه هنا، حيث نطرح ثوبنا الحقير البالي، ونخرج متمنطقين، ببر فير وأرجوان الحياة الجديدة حياة الطّهر والقداسة.

جاء في بعض الأساطير، أنّ القدماء كانوا يعتقدون، بأنّ طائرا رمزيّا، اسمه فينيق، كان يعيش ألف سنة، ويأتي من الهند إلى لبنان، كلّ خمسين أو كلّ مائة سنة، مرّة واحدة، فيحترق بالعنبر والطّيب، فوق هيكل الأسرار، ولا يلبث أن يستعيد حياته، بعد ثلاثة أيّام، ويرجع إلى بلاده.

كذلك نحن، يجب أن نميت، في هيكل الأسرار، في الرّياضة المتعطّرة، بعنبر وطيب القداسة، كلّ ما من شأنه، أن يؤذي جسدنا ونفسنا، ليمكنّا أن ننهض من كبوتنا، فنعيش حياة جديدة، ملأى بالأماني السّماويّة العذبة، لنستطيع أن نرجع إلى بلادنا، وطننا الحقيقي، إلى السّماء.

إذا يجب أن نهرب، من روح العالم، دون أن نترك العالم، ونعبد اللّه، على قمم الحياة المسيحيّة، مغتنمين من هذه الرّياضة، ثمارا شهيّة، وغفرانا كاملا، وراحة بال، وفضائل علويّة.

فـإلى الرّياضـة، أيّهـا الاخـوة، إلى القمّـة، إلى البريّـة، إلى الجبـل، فهـا هـو الوقـت المقبـول، والزّمـان المرغوب، وها هو يوم الحياة، آمين.

موضـــوع نهـــار الثلاثـــاء: "إنّ أجســـادكم هـــي هياكـــل الـــروح القدس."

مدخل استلهام الرّوح القدس:
هلـمّ أيّهـا الـرّوح القـدس، وأرسـل مـن السّـماء، شـعاع روحـك، نحـن جيـاع فأطعمنـا، عطـاش فاسـقنا، عـراة فاكسـنا، مرضـى فاشـفنا، غربـاء فآونـا، سـجناء فزرنـا، تعـال أيّهـا الـرّوح القـدس، كنيسـتك تصـرخ إليـك جـدّد وجـه الأرض، فقـد أتـت الأزمنـة، وحلّـت السّـاعة يـا مـن أنـت الأمس واليوم والى الأبد.

مقدّمة: إذا نحن، في السّنة الثّالثة، ليوبيل الألفين، التي سمّاها قداسة البابا، سنة الآب.
حبّ يسوع لأبيه، يتجلّى حبّا للإنسان.
ألم يصرخ على الصّليب: أغفر لهم يا أبتاه ...
ومن على صليبه، انتقل إلى أبيه، ليعدّ لنا مكانا.
جـاء يسـوع ليجعلنـا أبنـاء، قـال: " أو لـيس مـن أبي كـلّ سـلطان، في السّـماء والأرض " اذهبـوا وتلمذوا جميع الأمم "
فكلّ بني البشر مدعووّن ليقولوا: " أبانا الذي في السّماوات.

الموضـوع إذا: " أمـا تعلمـون أنّكـم هيكـل اللّـه! وأنّ روح اللّـه يسـتقرّ فـيكم! مـن يفسـد هيكـل اللّه يفسده اللّه، لأنّ هيكل اللّه مقدّس وهو أنتم "

ليقف كلّ منّا لحظة تأمّل، أمام هذه الآية المقدّسة، ويسأل نفسه سؤالا واحدا فقط، هل كلّ منّا يحترم جسده، ويعتبره هيكلا للربّ هل أعتبر جسدي كنيسة اللّه؟ وحسب الإجابة، أدين نفسي قبل دينونة الديّان.

إنّ الإنسان مركّب من نفس خالدة، وجسد ترابي.
قداسة النفس إذا مرهونة بقداسة الجسد، فالنفس لا ترتفع أو تتقدّس، إن لم تكن في جسد نظيف طاهر. هنا أسأل ،كيف أقدّس جسدي؟ سهل الجواب لكنّ العمل صعب ...
حتّى أقدّس جسدي . عليّ أن أعيش حربا، لا هدنة فيها، مع عدوّي الذي هو جسدي، قال بولس الرّسول: " أقمع جسدي وأستعبده، أنا الذي بشّرت آخرين ...
قد يجرّني جسدي، إلى الأميال المنحرفة، فيقودني إلى الهاوية، ويسيطر عليّ، بالكسل، الخلاعة، الترّف، الغشّ، السّرقة، الجنس المخدّرات، وأبيح لنفسي كلّ ما هو محرّم، ومتى تخدّر صوت ضميري ألاقي المبرّر: الموضة، العصر، الفعل، وردّات الفعل ...
كلّها أسئلة منطقيّة، يطرحها المؤمن، على نفسه، لكن أليس الأفضل أن أحاسب نفسي، وعندي متّسع من الوقت، لدفع الحساب، من أن يحاسبني اللّه، يوم لا يعود أمامي، أي فرصة للنّدم وطلب المغفرة.

المسالة ليست سهلة، كما أنّ المكافأة، ليست بسيطة، إنهاّ الحياة الخالدة المقدّسة، لهذا قال السيّد: " ما أضيق الباب، وما أحرج الطّريق، المؤدّي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونها (" متّى 7: 14 ") من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها. " من لا يحمل صليبه، كلّ يوم ويتبعني، لا يستحقّني " ماذا ينفع الإنسان، لو ربح العالم كلّه، وخسر نفسه ".
هنا نأتي إلى النّصف الآخر من العظة.

أفتّش معكم، عن صوت الرّوح، في الزّمن الحاضر، هل فينا نحن المسيحيّين، صوت الرّوح؟ أم هو رجاء ما بلغناه بعد؟

بالبلاد التي كانت شيوعيّة، نرى شعبا مقهورا، لكن حارّا بإيمانه، بينما الغرب، إيمانه بارد، والشّرق عندنا إيمانه فاتر،

لذلك صورة الشّعب المسيحي اليوم، صورة قاتمة:

توزّعنا بين كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت، ثلاث آلاف شيعة، تحارب أو تتجنّب بعضها البعض.

توزّعنا أربع فئات:

الفئة الأولى: تتألّف من مؤمنين، ملتزمين بحياة الكنيسة، كلّ حسب موهبته، لا رابط يجمعهم.

الفئة الثّانية : تتألّف من أفراد، يمارسون بعض الشّعائر، بسطحيّة مبنيّة على العادات والتّقاليد .

الفئة الثّالثة : تتألّف من أفراد، تسجّلوا بخانة المسيحيّين، عند مأمور النّفوس، ويعيشون كما يحلو لهم، مسيحيّتهم من عمل خيالهم وحسب حاجاتهم.

الفئة الرّابعة: تتألّف من أفراد وثنيّين، نسمّيهم مسيحيّين، ولكنّهم يعبدون، آلهة هذا الدّهر . أصنامهم: الزّعماء، السّلاح، الدّولار، الأهواء، شّهوة العين والجسد والشّيطان، الزّعامات

الفارغة، مسيحيّون بالهويّة، لا يمتّون إلى المسيح، بأي صلة، شعار الواحد منهم: أنا لبولس، والآخر أنا لأفلو، كما قال رسول الأمم.
ما يعزّي! أنّه رغم أجواء الفتور، الجهل، الضّياع، نجد العديد من الحركات الرّسوليّة، الجمعيّات، الأخويّات، المنظّمات الإنسانية المبادرات الفرديّة، مستشفيات، مآو للعجزة، ودور للمعاقين، رسل عالميّين، يبثّون في المجتمع، أجواء روحيّة، تروي عطش جماعاتنا، سيّما شبابنا، إلى الحقّ والرّوح.
أبناءنا المؤمنين! ما هي دعوة المسيح اليوم؟

قبل صعود المسيح للسّماء، سأل التّلاميذ يسوع، إذا كان سيعيد الملك لإسرائيل، في هذا الزمن، فكان جواب يسوع " ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة، ولكن سينزل عليكم الرّوح القدس، وتكونون لي شهودا، في أورشليم واليهوديّة كلّها والسّامرة، حتّى أقاصي الأرض.

قوّتنا كمسيحيّين قائمة بإيماننا، فنحن المسيحيّين اليوم، ولو ظهرنا ضعفاء مهدّدين، بوجودنا وحياتنا، خاصّة بوطننا الأصيل لبنان، بعدما أصابنا بالحرب، ما أصابنا من قتل ودمار وتهجير، نظلّ نسمع، صوت المسيح، يقول لنا: " من كان فيكم إيمان، كحبّة الخردل، يقول لهذا الجبل، انتقل فينتقل،، أنتم نور العالم، أنتم ملح الأرض، أنتم الخمير في العجين، طوبى للمضطهّدين من أجل الربّ، لا تخف أيّها القطيع الصّغير، ها أنا معكم، حتّى انقضاء الدّهر، شعور رؤوسكم، كلّها محصاة ".

فلا يجب، أن نخاف ممّا أصابنا، وأصاب بلادنا، فالآلام التي أصابتنا، زمن الحرب، صليب أشركنا المسيح به، مع آلام صليبه، فصليبه كان ولما يزل، باب القيامة، إذ ليس تلميذ، أفضل من معلّمه، وأي ابن لم يؤدّبه أبوه، فعلى قدر ما نصبر ونحتمل ونتوب نلتهب أيمانا ورجاء ومحبّة.

فلنشعل فينا جذوة الفضائل الإلهية هذه، مجدّدين وجه الكنيسة، سواء كنّا، علمانيّين أم أساقفة أم كهنة، أم صيادي أسماك.

ويا أيّها الرّوح القدس!

بدّد العتمة السّاكنة عقولنا، أرسل إلينا شعاع نورك، تعال أيقظ أرواحنا، وجدّد وجه الأرض.

آمين.

موضوع نهار الأربعاء: إن لم تتوبوا تهلكوا جميعكم

مدخل استلهام الروح القدس.

تعال أيّها الرّوح القدس، نحن جهلة علّمنا.

نحن جياع إلى كلمتك، أطعمنا من شريعتك.

نحن عطاش، فاسقنا من مائك الحيّ.

نحن غرباء فآونا، مرضى فاشفنا، سجناء فزرنا.

افتح يا رب قلوبنا لشريعتك، وعلّمنا أن نسلك في رسومك، وإذا ضعفنا فمنك أنت وحدك الغفران.

المقدّمة: في سياق مناسبة سنة الآب، نتطلّع إلى ما قاله يسوع: " لا أقول لكم انّي أطلب من الآب لأجلكم، لأنّ الآب يحبّكم، لأنّكم أحببتموني، وآمنتم أنّي من الآب خرجت ".

المسيحيّة لا تقول، باله مجهول، غائب عن العالم، ينتظر الإنسان الضّعيف، ليحاسبه حسابا عسيرا، بالويلات والمصائب، التي تلاحق الإنسان، في حياته وأهله وجسده.

قال مرّة كاهن، لامرأة فقدت وحيدها، في ربيع عمره: هذه إرادة اللّه، فأجابت: إذا كانت هذه إرادته، فأنا أكرهه، وأنتظر اليوم، الذي سأسأله فيه: لم فعلت بي هذا؟.

المسيح يتكلّم عن الآب الذي أرسله، وأنّ الآب يحبّه، ويحبّ كلّ إنسان " من يحبّني، أبي يحبّه و ...، هو ينتظر عودة الخاطئ، " لأنّه لا يريد أن يموت الخاطئ، بل أن يتوب ويحيا ".

هـو الرّاعـي الصّـالح، يبحـث عـن الخـروف الضّـالّ، ومثـل الابـن الشّـاطر خـير دليـل. فوالـد الابـن الشّـاطر، أحـبّ ولديـه، دون النّظـر إلى كـلّ منهمـا، وهكـذا اللّـه الآب، يحبّنـا، يغفـر لنـا، يحرّرنـا، نحـن الّـذين خلقنـا على صـورة اللّـه ومثالـه، وبعـث لنـا ابنـه الوحيـد، الـذي سـفك دمـه، عربـون فـداء عـن خطايانـا، حتّى نتصـالح معـه، فـإذا كـان المسـيح قـال:" أنـا مـا جئـت، إلاّ لأعمـل، إرادة اللّـه الآب "، فكـم بـالأحرى نحـن، حـتّى لا نفقـد الهـدف مـن وجودنـا، علينـا أن نعمـل بـإرادة اللّـه، علـى الأرض، كمـا في السّـماء، وإذا تحقّقـت فعـلا، إرادة اللّـه، فـالأرض لا تبقـى أرضـا، بـل نصـبح كلّنـا سمـاء، كمـا قـال أوريجـانس، فالمسـيحي الحقيقـي، مـن يـدرك، أنّ في حيـاة الأرض، الغذاء والأوكسجين، للعيش مع اللّه، لحياة السّماء.

اخوتي! موضوعنا الأساسي اليوم إذا، هو سرّ التّوبة: " إن لم تتوبوا تهلكوا جميعكم "

ملاحظـة لا بـدّ منهـا: لـئن طالـت العظـة قليلا، لا بـأس، فمـا نقولـه، هـو مـا يلهمنـا إيـاّه الـرّوح القـدس، وعـار علـى المسـيحي، أن يعـرف السّياسـة والعلـوم والفنـون، ويجهـل عقائـد دينـه المقدّس، المتوقّف عليه، خلاصه الأبدي، وسعادته الأبديّة.

رتّـب المسـيح، سـرّ التّوبـة أو الاعـتراف، عنـدما قـال لرسـله: " خـذوا الـرّوح القـدس، مـن غفـرتم خطاياه غفرت و ...

إذا تأسـيس سـرّ الاعـتراف، الهـي لا بشـري، وبمـا أنّـه الهـي فهـو ملـزم، والكنيسـة في الواقـع، اسـتعملت سـلطة الحـلّ، منـذ الأجيـال الأولى، في بيعـة الـدّياميس في رومـا، في المغـاور تحـت الأرض، مـن هنـا فرضـت الكنيسـة، الاعـتراف العلـني والسّـرّي، وكانـت تعاقـب، عـن بعـض الخطايـا، بـالحرم أو القطـع مـن شـركتها، لاعتقادهـا أنّ الكنيسـة، هـي جماعـة القدّيسـين "كنيسـة مقدّسـة "، فـلا يجـوز أن يبقـى في جسـمها، عضـو فاسـد، وكانـت تـتحفّظ، في غفـران بعـض

الخطايا: كالقتل والزّنى، وعبادة الأوثان، وتدنيس القربان، فتمنع مقترفيها، من دخول الكنائس، ولا تحلّهم منها، إلاّ عند ساعة الموت، ومن يخطئون بغيرها، يلبسون مسحا، ويقفون على باب الكنيسة، مدّة من الزّمن، أو يبذلون صدقات، أو تفرض عليهم صلوات، الى أن يظهروا توبة صادقة، لا بل حرارة الإيمان، عند المسيحيّين، سمحت لبعض رؤساء الدّين، أن يعاقبوا المجرمين، من كلّ طبقة، حتّى ولو كانوا، ملوكا أو قياصرة.
القدّيس أمبروسيوس، أسقف ميلانو، منع الملك تودوسيوس، من دخول الكنيسة، بعدما صبّغ يديه، بدماء بعض أهالي تسالونيك الأبرياء، فأطاع الملك الأسقف، ولم يدخل الكنيسة، إلاّ بعدما أتمّ الفرض المرسوم، وأظهر للملأ، توبة صادقة.

حتّى ينال التّائب، غفران خطاياه، يقتضي ثلاثة شروط:

أوّلا: النّدامة.
ندامة يسبقها فحص الضّمير، كما لو كان أمام اللّه، عن الخطايا المخالفة لوصايا اللّه العشر، ووصايا الكنيسة السّبع، عن الرّذائل السّبع بما فيه، مسبّبات لعنات تجاد يف، عن الخطايا ضدّ الفضائل الإلهيّة الثّلاث: الإيمان والرّجاء والمحبّة، ضدّ الفضائل الأدبيّة الأربع العدل الفطنة الشّجاعة القناعة، عن الواجبات نحو اللّه والقريب، عن ذاتي لناحية واجباتي: ببيتي، مع عائلتي، بمجتمعي، بعملي.
ندامة كاملة: لا خوفا من الجحيم، ولا طمعا بالنّعيم، بل حبّا باللّه.
أو ندامة غير كاملة: صادرة عن خوف جهنّم، والحرمان من السّماء.

ثانيا: يتقدّم التّائب، إلى منبر الاعتراف، كأنّه يتقدّم إلى منبر اللّه، فيقرّ هنا بخطاياه المميتة، وحتّى العرضيّة، دون خجل، فلا ينقص شيئا منها، أو يكذب، لئلاّ يكسب لعنة لا بركة،

وهنا تتنوّع الخطايا حسب الظّروف، كالسّرقة في الكنيسة، ثمّ يسمع لنصائح الكاهن، وبينما هو يقول: فعل النّدامة، يتلو عليه الكاهن صورة الحلّ.
في شتاء سنة 1923، ذهب أحد سكّان أل سكا، في شمال كندا الغربي إلى الأب رونالد المرسل، يدعونه إلى بلدتهم، الكائنة على مسافة 100 كيلو متر، وجد الأب المرسل هناك، 11 جثّة، بيد كلّ واحد قشرة من شجر الصّندل، مطويّة وحاوية، تفصيل خطاياه!

ثالثا: التّعويض عن الخطيئة.
لا حلّ من الخطيئة بدون النّدامة، والقصد بعدم الرّجوع إليها.
هنا ليعلم كلّ سارق أنّه: " لا تغفر الذّنوب، ما لم يردّ المسلوب ".
وكلّ زان أن: عليه قطع الأسباب القريبة، التي تحمله على السّقوط.
وكلّ مغتاب، أو طاعن في صيت القريب، أن يصلح الضّرر.
وكلّ مردّد لخطاياه، باعترافات متواترة، من غير أن يظهر، أقلّ إصلاح في سيرته، أنّ هذه الخطايا لا تغفر، إلاّ على قدر ما يكون، نادما عليها، ومتّخذا الوسائل، لعدم الرّجوع إليها.

تعقيبا على ما تقدّم، ربّ قائل يقول: من يقدر أن يعصم نفسه عن الخطيئة؟ لا يجوز لنا إذا، أن نعترف، إذا كنّا عارفين، أنّا سنقع فيما بعد بالخطيئة.

فالجواب: إنّ الاعتراف وضع، للساقطين في الخطيئة، والتّائبين عنها، والمستعدّين ألاّ يقعوا فيها، فإذا كان المعترف، مصمّما على الخطيئة ومصرّا، ولا ينوي الابتعاد عنها، فلا ينال الغفران، لأنّه غير تائب، وأمّا من يعترف، وهو غير واثق من نفسه، بعدم الرّجوع إلى الخطيئة ولكنّه نادم ومستعدّ، أن يتّخذ الوسائل، لعدم الرّجوع إليها، ولا سيّما الصّلاة، لينال نعمة الثّبات، شاعرا بضعفه، كما قال المسيح: " بدوني لا يمكنكم أن تعملوا شيئا ".

ولمثل هؤلاء، قال أيضا: " تعالوا إليّ أيّها المتعبون، وأنا أريحكم ". وقال: " لا يحتاج الأصحّاء، إلى طبيب، بل ذوو الأسقام ".

فليعترف هذا الخاطئ الضّعيف، فالاعتراف يقوّيه ويساعده، على الثّبات في النّعمة، وقد يصبح من القدّيسين.

أمّا ما يفرضه الكاهن، من الصّلوات والواجبات، وهو " القانون " فهو قليل، ممّا كانت الكنيسة تفرضه، بأجيالها الأولى.

ولكن علينا أن نعرف، أنّ علينا ديونا يجب وفاؤها، ولو تبنا ونلنا الحلّ عن خطايانا، ديون تستوجب قصاصات، مطلوب منّا الوفاء عنها، إن لم يكن في هذه الدّنيا، ففي عذابات المطهر، لذلك لم يكتف القدّيس بطرس بالبكاء، مرّة واحدة، على نكرانه المسيح، بل بكى على جحوده، كلّ حياته.

لأجل التّوبة، عاش عدد كبير من المسيحيّين، في البراري والمغاور والمناسك، وقضوا حياتهم، بالصّوم، والتّقشّف، والزّهد، ومحاربة الجسد، والابتعاد عن ملذّات الدّنيا، وعن أسباب الخطيئة.

لأجل التّوبة عن الخطيئة، ملأ الشّباب والشّابات والرّهبان والرّاهبات، أمثال مار شربل، ومار مارون، والقدّيسة رفقا، والأب نعمة اللّه الحرديني، ملأوا الأديار، ومارسوا كلّ أعمال الفضائل، والاماتات، هجروا المدن والأهل والأفراح العصريّة، والمستقبل الباهر، ليستعدّوا لاستقبال ربّهم، ويفوا الحساب، الذي استحقّته خطاياهم، ونحن لا نزال نسرح ونمرح، قائلين في أنفسنا: " قد أخطأنا، فأيّ شرّ أصابنا كأنّ الأيّام تدوم لنا، أو كأن لا ديّان ينتظرنا، ولا

آخره نعاقب عليها أو كأنّ اللّه، كفل لنا النّدامة، في السّاعة الأخيرة، وهذه من يعلمها إلاّ اللّه.

قيل في لبنان، معدّل عمر الإنسان 63، وهنا 76، ثمّ أليس العمر بيد اللّه؟ من منّا يمكنه، أن يزيد على عمره، ثانية واحدة؟ ومع ذلك، نحن نعلم، أنّ المسيح، سبق فحذّرنا، بأنّ الموت يأتي كالسّارق، أما قال الشّاعر:

كلّ ابن أنثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول.

كثيرون من زملائنا، ورفاق العمر، كانوا أشدّ عافية منّا، تساقطوا كأوراق الخريف، وهذه حوادث المصائب، تملأ الأرض . أمطار، عواصف، ثلوج، حروب إقليمية ودوليّة وأهليّة، فيضانات، براكين هزّات أرضيّة، فنقول: هذا عقاب الخطيئة، ثمّ يغلب علينا الطّيش، وننسى أنّ علينا خطايا، يجب الوفاء عنها، ونتعرّض للموت الفجائي بلا توبة . لنعد إلى تاريخ الشّعب الإسرائيلي، صادوم وعامورة، أخطاء الملوك والشّعوب، يخطأ الشّعب فيقاصص، ويتوب فيحوز رضى الربّ.

لا تسمح اللّهمّ ، أن نبقى غافلين إلى النّهاية.

لا تسمح أن يفاجئنا الموت، ونحن في حالة الخطيئة.

أعطنا القوّة منذ الآن، لنتوب عن خطايانا، ونكون مستعدّين للسّاعة الأخيرة، يا اله الرّحمة. آمين.

يوم الخميس: "احفظ يوم الرب."

صلاة البدء:

أرسل ربّي نورك وحقّك.

أفض نعمتك من العلى، على رعيّتك هذه.

أغمر قلوبنا بندى السّماء .

أسكب مياه التّقوى علينا.

اسق وجه الأرض.

ومر الرّياح والعواصف، التي لا تزال تهبّ على لبنان، وطننا الأصيل، فتسكت..

مقدّمة: في سنة الآب، نذكّركم في بدء كلّ عظة، باللّه أبي ربّنا يسوع المسيح وأبينا، فإذا كان اللّه يحبّ الابن، وأسلم إليه كلّ أحبّائه الذين هم نحن، لأنّنا اخوة يسوع، إذا هو يقودنا، كما يقود الرّاعي الخراف، إلى المراعي الخصبة، قبل يسوع، لم يكن بين النّاس، وبين اللّه دالّة، حتّى ينادونه " أبّا " أي بابا بالعامّيّة، إلى أن جاءنا المسيح فعلّمنا قائلا: " إذا صلّيتم قولوا: " أبانا الذي ... " لأنّ الآب يحبّ الابن، والابن يحبّ الآب، لهذا تبنّانا اللّه الآب كلّنا، كلّ البشر، لأنّه يشرق شمسه، على الأخيار والأشرار، ويمطر غيثه، على الأبرار والظّالمين.

هـو ينتظـر عـودة الابـن البعيـد، ويكشـف سرّه للبسـطاء والأطفـال، هـو بابنـه تبنّانـا، وما بخل بابنه الوحيد،، بل أسلمه عن جميعنا.

قـال: "كونـوا كـاملين.. " ومـع ذلـك لا يمنـع عنّـا الأمـراض، ولا يسـمح لنـا أن نهـرب، مـن طبيعتنـا البشـريّة، بـل يطلـب منّـا، أن نكـون علـى مثـال الابـن، أي أن نحمـل الصّـليب " احمـل صـليبك.. لا تلميـذ أفضـل ... بمثـل هـذه الرّوحانيّـة نتحـوّل نحـن المعمّـدين، مثـل مـار بطـرس ورفاقـه، في بحـيرة طبريّـا، مـن صـيّادي سمـك، إلى تلاميـذ ورسـل، وكمـا المجدليّـة، مـن مـوظّفي تحنـيط، إلى حملـة رسـالة، ومـن حـرّاس قـبر فـارغ، إلى شـهود قيامـة، آنئـذ تتوحّـد قمـيص كنيسـة إنطاكيـة بالإيمـان مـع أحفـاد إبـراهيم، فـدور المسـيحي، أن يبـذر في الأرض، الحضـارة المسـيحيّة " بـذار السّـماء " فـلأي سمـاء نتحضّـر، إذا بقـي التّبـاغض، والتّسـلّح، والجـوع، ومآسـي الحـروب، الـتي تـزداد يومـا عـن يـوم، فلـو اصـطفّ الجـائعون حـول الكـرة الأرضـيّة، لزنّروهـا 25 مـرّة، فـأي سمـاء سـيرى هـؤلاء؟ مليـار بشـري يجهلـون القـراءة، ولا عنايـة طبّيّـة، إلى 800 مليـون نسـمة، فهـل للسّـماء مكـان علـى أرضـنا؟ ومـا دمنـا اخـوة وأخـوات، فهـل يرضـى اللّـه، أبونـا في السّـماوات، بهـذا؟ كـلاّ، إنّمـا كلّمـا حقّقنـا الأخـوّة، عمـلا بـإرادة الآب، كلّما اقتربت الأرض من السّماء.

الوصيّة الثّالثة، من وصايا اللّه العشر إذا، " احفظ يوم الربّ."

وصيّة إلهيّة، عمرها من سفر التّكوين، وعهد موسى، وقد فسّرتها الكنيسة، في العهد الجديد، بضرورة حضور القدّاس، أيّام الآحاد والأعياد المأمورة، لأنّ كلّ أعمالنا التقويّة، تختصر بالقدّاس.

ما هو القدّاس؟

قال السيّد المسيح، بعد العشاء السّرّي لتلاميذه: " اصنعوا هذا لذكري ".
فالقدّاس إذا تذكار حياة وآلام وموت وقيامة السيّد المسيح
من أوّل القدّاس، إلى الكلام الجوهري، نتذكّر حياته وتعليمه وتبشيره
ومن الكلام الجوهري، إلى الأخير، نتذكّر آلامه وموته وقيامته.
الذّبيحة ليست تمثيل احتفال للذّكرى، هي ذات ذبيحة المسيح، على الجلجلة، بشكل غير دموي.

هي حقيقة: " أنا الخبز الحيّ، النّازل من السّماء، الخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي لحياة العالم، من يأكل من هذا الخبز، يحي إلى الأبد جسدي مأكل حقّا، ودمي مشرب حقّا، خذوا كلوا، هذا هو دمي للعهد.. "

فكلّ من لا يحضر ويشارك، من الكلام الجوهري، لتناول الكاهن . أهمّ أجزاء القدّاس . لا يفي وصيّة سماع القدّاس.

حضـور القـدّاس كلّـه، واجـب وبتقـوى وخشـوع ورغبـة وشـوق، لأنّ قيمـة القـدّاس، هي قيمة استحقاقات يسوع، التي لا حدّ لها.

ثمّ ذبيحـة القـدّاس، أبطلـت كـلّ ذبـائح العهـد القـديم، لأنّهـا مواصـلة ذبيحـة الصّـليب، وهـي بالتّـالي محـدودة، بحسـب اسـتعداد وقابليّـة مـن تقـدّم عـنهم، ومتخصّصـة للفـداء وتوزيعه، بينما ذبيحة الصّليب هي غير محدودة، وثمن فدائنا.
بالقـدّاس المسـيح ينـادي، أبـاه السّـماوي، كمـا نـاداه علـى الصّـليب: " يـا أبتـاه أغفـر لهـم لأنّهـم ... فكـلّ اسـتحقاقات الشّـهداء والأبـرار والنّسّـاك، لا تـوازي قيمـة القـدّاس، وكـلّ ذبـائح العهـد القـديم، مـن آدم إلى المسـيح بمـن فـيهم، هابيـل، نـوح، إبـراهيم، اسـحق، يعقـوب، موسـى، داود سـليمان، ايليّـا، لكـن بمـا أنّهـا، كانـت رمـزا، لذبيحة الصّليب، كان ربّنا يرضى بها.

فلـو قـدّم كـلّ البشـر ذواتهـم ذبيحـة، لمـا أمكـنهم التّكفـير، فالقـدّاس فعـل سـجود وعبـادة وتكفـير وتعـويض، مـن الخليقـة للّـه الخـالق، فيـه نقـدّم لـه الشّـكر، علـى إحسـانا تـه الغزيـرة، الـتي لا تحصـى، ونطلـب منـه حاجاتنـا ونعمـه السّـماويّة، ونسـكّن غضبه، عن آثام البشريّة، التي تفوق رمال البحر عدّا.

اختلـف النّـاس، في فهمهـم معـنى القـدّاس، وحفـظ يـوم الـربّ، لـذلك يحلّلـون أنفسـهم، مـن الـذّهاب للكنيسـة، لأتفـه الأسـباب، مثـل عبـارات المهـمّ تعصـم لسـانك عـن النّـاس. حيثمـا تطلبـوني تجـدوني. يـا بـني أعطـني قلبـك... وهـم بهـذا،

يصدق بهم، ما قاله النّبيّ: ويل للجاعلين الحلو مرّا، والمرّ حلوا. والبعض ناقم، على الخوري، أو على أناس، هو معهم على خلاف، وهناك فئة، تواظب على حضور القدّاس، من قبيل العادة، فتكتفي بمظاهر الترانيم والموسيقى، أو بالتّصوير، أو بالتنقّل والشّرود، مثل الوثنيّين، أو كأنّنا بسينما، أو معرض زراعي صناعي تجاري رياضي؛

إنّما ما يعزّي، أنّنا نرى بالمقابل والحمد لله، عددا وافرا همّه، مشاركة الرعيّة الكاهن، في تقديم ذبيحة ابن اللّه، فابن اللّه بالقدّاس، يوجّه دعوة عامّة مجّانيّة، إلى وليمة جسده ودمه، " خذوا كلوا، هذا هو جسدي، واشربوا هذا هو دمي، للعهد الجديد... فكيف نستجيب، دعوة إلى الطّعام، من زعيم، أو مسؤول كبير، ونجدها نعمة كبرى، نفاخر بها النّاس، وتكسبنا جاها أرضيّا، بينما دعوة ابن اللّه، إلى وليمته، وهو ملك الملوك، وربّ الأرباب، تعطينا الحياة الأبديّة.

الذّبيحة غير الدّمويّة، أو القدّاس، حركة تغيير روحي، في داخل الذّات البشريّة، وفي المجتمع، تقوم على اشتراكنا جميعا، في قدّاس مستمرّ لا ينتهي، مداه الكون والتّاريخ، قدّاس كوني، يروحن كلّ شيء، ويجعلنا حجارة حيّة، لهيكل لا يزول، ويجدّد وجه الأرض.
فإذا كانت حياتنا، هي المسيح، فلا يجب أن نعتقد، أنّنا بحضورنا القدّاس، وتناولنا القربان، قد حفظنا يوم الربّ، وأدّينا ما علينا تجاه خالقنا، إذ والحالة هذه، ما نكاد نخرج من الكنيسة، حتّى نعود إلى سيرتنا الأولى، وعالمنا الأوّل، فمن اعتاد

انتقاد الآخرين، والتسلّي بذكر عيوبهم، ظلّ على حاله، ونسي أجواء القدّاس ونواياه، ومن كان حاقدا على خصمه، مرّ به ولم يصفح، بقي الحاقد على حقده، والقاسي على قسوته، والمتكبّر على انتفاخه، والظّالم على ظلمه والفاجر على فجوره، والزّاني على زناه، والزّوج الخائن، على خيانته وهذه المرأة، التي هجرت زوجها، لأتفه الأسباب، أو تلك التي برّرت إجهاضها، استجابة لحرّيّة العصر، وأولئك الشّباب والفتيات، الّذين أسلموا ذواتهم للشّيطان، يقضون أوقاتهم ولياليهم، في دور السّينما والمسارح ولعب القمار وشرب المخدّرات، لا فضيلة تروّعهم ولا سرّ اعتراف ينقّيهم، ولا تناول قربان، يخفّف وطأة التّجارب، ولا تأمّل أو صلاة تهدي، وكأنّ المسيح، الذي مات، عن كلّ إنسان ليخلّص العالم، ويكرّس فعل المحبّة بين النّاس، لم يكن يعني أصحابنا هؤلاء!!!

فالمسيحي صاحب مبادرة، إلى الخير، في كلّ زمان ومكان، المسيحي من يطعم الجائع، ويسقي العطشان، ويكسو العريان ويعود المريض، ويؤوي الغريب، ويغيث السّائل، ويرحم الضّعيف، ويحبّ عدوّه ويصلّي من أجل مضطهد يه، ويعمل على خلاص نفسه، لما فيه مجد اللّه وخلاص القريب.
هذه كلّها تبدأ، بعد إعطاء البركة، والخروج من الكنيسة.
حضور القدّاس معناه، المشاركة به، وليس معناه، سماع القدّاس، أو حضور القدّاس، وإلاّ لكان الذي يسمع القدّاس، أو يراه عن طريق الرّاديو والتّلفزيون، يفي وصية حفظ يوم الربّ، المشاركة في القدّاس هنا، معناها الانسجام الرّوحي والمعنوي والجسدي، وهذا لا يتمّ إلاّ بتناول جسد ودم الربّ باستحقاق، كلّ مرّة

نسمع القدّاس، ففي هذا حفظ النّعمة، ونموّها، والمساعدة على ممارسة الفضائل، والتخلّق بأخلاق المسيح، وعربون القيامة من الموت، والتمتّع بالسّعادة الأبديّة

ذاكرين ما جرى، عبر التّاريخ الكنسي الجديد، مع العديدين من القدّيسين، الّذين أغرموا بعبادة القربان، الطّعام الإلهي للنّفوس العابدة
أمثال الملك القدّيس لويس التّاسع ...

فحريّ بنا، ألاّ ندنّس، ما قدّسه اللّه، فاللّه لم يدعنا للنّجاسة بل للقداسة، وأن نكون ملح الأرض، والمنارة على الجبل، والخميرة في العجين، والزّرع الجيّد، لأنّه عندما نقدّس، نكرّم اللّه، ونفرّح الملائكة، ونبني الكنيسة، ونساعد الأحياء، ونوفّر للأموات الرّاحة، ونجعل نفوسنا شركاء، في جميع الخيرات، ونجذب العالم، إلى المسيح ابن اللّه، نور العالم. آمين.

عظة الجمعة من أسبوع الآلام.

الموضوع: " إنّ الصّليب عند الهالكين جهالة، أمّا عندنا نحن الأحياء، فهو قوّة اللّه."

صلاة الافتتاح.

يا ربّ إذا يئسنا، أنت العزاء والرّجاء.

أنرنا بصليب النّور، صليبك.

به نتقرّب منك، ونتوب إليك، ونفهم عليك، ونفرح معك أكثر.

ويا من خلّصت العالم، وقدّست آلام البشر بصليبك، واستحققت القيامة، ونحن ساجدين تحت أقدام صليبك، في ذكرى ساعة موتك مسمّرين عيوننا فيك، اجعلنا إذا حملنا الصّليب وراءك، ننعم مثلك بالقيامة المجيدة، فنقوم وينهض لبنان معنا. آمين.

اخوتي! نحن في سياق سنة الآب، فلنتذكّر أنّ اللّه أب، ونحن أولاده، وعندما ننطق بالابن، هناك علاقة بنوّة، بيننا وبين الربّ، علاقة محبّة تربط الآب بالابن، مثلما يربط الرّوح القدس، المنبثق منهما، بين الآب والابن.

قيـل: قصّـة الآلام في الـدّنيا، تشـبه عـودا، لـه سـبعة أوتار،سـتة تـدقّ دقّـات الحـزن، وواحد يدقّ دقّة الفرح.

عــرف ربّ المجــد، أنّ الألم، طريــق تلاميــذه، والطّريــق إلى المجــد فقــال: " " مــن لا يحمل صليبه، كلّ يوم ويلحقني، لا يستحقّني ".

هــو الصّــليب خشــبة الخــلاص، وشــجرة الحيــاة، فلنتمسّــك بــه، ولنقطــف مــن ثمــاره المحييــة، لأنّــه مــوجز سـرّ فــدائنا، وشــعارنا في الحيــاة والمــوت، وفيــه تكتمــل الأســرار الثّلاثة: سرّ التجسّد، وسرّ الفداء، وسرّ الثّالوث الأقدس.
عنـدما نقـول باسـم الآب، نؤكّـد أنّ اللّـه أرسـلنا بمهمّـة، ينبغـي القيـام بهـا بأمانـة، وهـي مشــاركة الآب بــالخلق، والابــن في الفــداء، والــرّوح القــدس بالمحبّــة، وهــذا يعــني، أنّنــا رسـل وشـهود للمسـيح حقيقيّـين، بتكريسـنا للّـه أفكارنـا وعواطفنـا وأعمالنـا، بضـميرنا المهني، باحتمالنا المشقّات، بمحبّتنا لأخينا الإنسان، عملا بمشيئة الربّ.

الحيــاة كلّهــا درب صــليب، جهــاد مســتمرّ شــاقّ، المســؤوليّة، الفقــر الخطيئــة العاهــة المـرض الحـوادث الحـروب الهجـرة التّهجـير الفـراق الوجـع الحـزن المـوت، كـلّ واحـدة مـن هذه صليب.

هناك بعض الورود، والرّياحين في الحياة، ولكنّها مزروعة، على درب صليب.

جلد يسوع، أربعين جلدة، كعبد وبهمجيّة جلدا رومانيّا، قصد أن يحنّن بيلاطوس قلوب اليهود عليه، علما بأنّ مشهد الجلد، يفتّت أقسى القلوب، وبهذا المعنى قال بولس الرّسول: جلدت أربعين جلدة إلاّ واحدة.

بعد الحكم على يسوع بالموت، وسقوطه على طريق الجلجلة ثلاث مرّات، ومدّه على الصّليب، وتسميره في يديه ورجليه، وبعد أن أشبعوه ضربا وجلدا، أحنى رأسه، وأسلم الرّوح، في مثل هذا اليوم " مات ابن اللّه، معذّبا عنّا، فوق الصّليب ".

إذ ذاك، الكائنات، الطّبيعة، لبست على باريها الحداد، الشّمس احتجبت، الصّخور تشقّقت، حجاب الهيكل تفسّخ، قام الموتى من قبورهم، بكت الطّبيعة وأرعدت وأمطرت، أظلم الكون، من السّاعة الثّالثة، حتّى السّادسة.
اخوتي! ليس الحداد على المسيح، بالبكاء والنّوح والرّثاء، بل بالصّوم والصّلاة والأمانة، لمسيحيّة فاعلة نيّرة.
حرام علينا، أن نهين المسيح، بخطايا الرأس، بعدما تكلّل رأسه بالشّوك.
أم بخطايا القلب، بعدما طعن قلبه وجنبه بحربة.
أم بخطايا اللّسان، بعدما شرب الخلّ والمرّ.
أم بخطايا اليدين، بعدما سمّروا وربطوا.
أم بخطايا الجسد، بعدما صار من أسفل القدمين، حتّى قمّة الرّأس، جرحا واحدا.

درب الصّليب انتهت إلى القيامة، ونحن نصيبنا نصيب مسيحنا، نحاول إبعاد الصّليب فلا نستطيع، أليس التحمّل إذا، خير من التّذمّر والكفر فوا لحالة هذه، حذار من اليأس، ولئن رزحنا بضعف، فلنقم بقوّة من يقوّينا، ونتابع المسيرة، مازجين دموعنا بدماء المسيح، لئلاّ تذهب سدى، سيّما نحن اللّبنانيّين، الذين علّمتنا حوادث الحرب الأخيرة الصّمود، فنقوم بدور سمعان القيرواني، لنخفّف بمحبّتنا عن المصابين حولنا، ماسحين وجه المسيح الحزين، المختبأ وراء وجوه الفقراء والعجزة والمرضى والمنكوبين والمعاقين واليتامى والمظلومين والمشرّدين والمحبوسين، بمنديل الرّحمة والخدمة، معزّين ومكفكفين الدّموع.

لا نقل أو ندّعي، أنّنا وحدنا من يحمل صليب المسيح، وهل من أحد راض بصليبه؟ كثيرا ما نتذمّر ونشتكي، لأقلّ مصيبة:
إذا أصبت بوجع رأس، كلّ شيء يهون عند، وجع الرّأس.
إذا أفلست، أو هدم أو احترق بيتي. هي كارثة!
إذا مرضت، يا ربّ هبني الصحّة، واحرمني ممّا تريد.
ذا توفّي أحد من عائلتي، هل من مصيبة، أكبر من هكذا مصيبة.

إذا زرنا ككهنة، أيّا من المؤمنين، نسمع تذمّرا عفويّا صادقا، يا أبت ليس من أحد، على وجه الأرض، يحمل حملي! هل أنا وحدي صلبت المسيح؟ حتّى أحمل وحدي، وعلى كتفي، عذاب الدّنيا والآخرة، ما عساي أن أحمل بعد؟

خاب ظنّ، من حسبوا انّهم، بقتلهم الرّاعي، تتبدّد الخراف، وقد تبيّن أن بصلب المسيح وموته، ازداد عدد المسيحيّين، وارتفعت راية المحبّة والسّلام، وانتصر الحقّ على الباطل.

عقيدتنا الثّابتة، صليب المسيح، انّه قوّتنا، طريقنا، حياتنا، موتنا، شعارنا الذي نرسمه إشارة، ثالوث وتجسّد وفداء، ولا نستغني عنه في أفراحنا: عمادنا، تثبيتنا، توبتنا، تناولنا، زواجنا، كهنوتنا، وفي احتفالاتنا الاجتماعيّة، وعند ساعة موتنا، نقبّله قائلين: " مع آلامك يا يسوع "، وعلى أوراق النّعي، يكتبون: " من آمن بي، وان مات فسيحيا "، وفوق القبر، عند عودتنا، إلى التّراب، الذي منه أخذنا، يكتبون أيضا: " هنا يرقد بالربّ على رجاء القيامة، فلان...

القدّيسة رفقا، تعذّبت أكثر ممّا، يقدر إنسان عادي أن يتعذّب، وما تذمّرت، وكانت دائما تقول: كثّر خيرك، من فضلك بعد... وجودك فيّي زادني قوّه... بعد فيّي احمل! هات...

أحيانا كثيرة، من يرى مصائب النّاس، هانت مصيبته، يقول المثل في بلادنا: " من ليس لديه حذاء لرجليه، ليذكر من ليس لديه رجلان، يمشي عليهما! في هكذا ظروف، كما المشاركة بالفرح تزيد الفرح المشاركة بالألم، تخفّف الألم.
في أيّام روما، أثناء محاكمة أحد الجنود، توسّل هذا الجندي إلى القيصر يطلب شفاعته، قال: " لقد تلقّيت، في إحدى المعارك سهما، كان قد صوّبه عليك

أعـداؤك، وكـدت أمـوت بـدلا عنـك "، أجـاب الإمبراطـور: " سأرسـل مـن يـدافع عنـك "، حينئـذ فـتح الجنـدي صـدره، وأراه موضـع جـرح بليـغ، هـو مـن آثـار ذلـك الجـرح، وقـال: " أنـا لم أكلّـف أحـدا، ليتلقّـى السّـهم عـنّي، فـداك "، فتـأثّر الإمبراطـور وبرّأه!

اخوتي! لم يرسل المسيح أحدا عنّا، لا ملاكا ولا إنسانا، فما موقفنا من موته؟.

سـئل تومـا الأكـويني، القـدّيس اللاّهـوتي المشـهور، أحـد أعـلام الكنيسـة، بعـدما رسـب في امتحانـه، ثـلاث مـرّات، ولقّبـه رفاقـه بـالثّور لبلادتـه، وبعـدما قـال كلمتـه المشـهورة: " لا بـدّ لهـذا الثّـور أن يعـجّ، فتسـمع عجيجـه الـدّنيا "، سـئل مـن أيـن أتيـت بهـذه الفضـيلة السّـامية؟ وهـذا العلـم الغزيـر؟ فـدلّ علـى الصّـليب، قـائلا: " انّـه أحسن كتاب ".

لـو كـان التسـعة والثّلاثـون، مـن انتحـروا في " سـانت يـاغو " بـالأمس يؤمنـون بالصّليب، ومن صلب عليه . لأنّه مات عنهم وعن أمثالهم . لاستفادوا من ثمار الفداء، ولما انتحروا وماتوا، في جنونهم، بفعل تجارب شياطينهم.

ظهـر المسـيح بصـليبه علـى قسـطنطين، إمبراطـور الرّومـان، يـوم ذهـب لمحاربـة أعدائـه، وقـال لـه: " بهـذه العلامـة تنتصـر يـا قسـطنطين "، فأبـدل راياتـه برايـة الصّـليب، وانتصر على أعدائه، وانتصرت بانتصاره المسيحيّة، على الوثنيّة، وعمّت العالم!.

القدّيسون، الشّهداء الأبطال، قدّموا آلامهم، حتّى يصير العالم كلّه، أفضل ممّا هو، العذاب والألم والموت، ناتج عن خطيئتي وخطيئتك، موت بريء، أو موت أي إنسان، إذا قبل بإيمان، له مفعول روحي رائع، يخلّص إنسانا، يخلّص العالم، مثلما خلّص، موت الشّهداء الكنيسة والأوطان، ومنها لبنان، وطننا الأصيل.

لا نفهم لماذا مات أطفال الرّامة، إنّما نعرف، أنّ خلاص الطّفل يسوع خلّص العالم.

كلّ من مرّ بالألم والصّليب، يصلّي أحسن، ويعامل غيره أحسن، ولديه عمق فكر أكبر، ولخبرته يسترشده أكثر النّاس، واثقين بالأكثر.

كما حمل الصّليب، القدّيس شربل، ومار مارون، والطّوباويّة رفقا ونعمة اللّه الحرديني، يجب أن نحمله نحن، بإيمان وفرح.

فيسوع لم يقف في بستان الزّيتون، أو على الجلجلة، بل أكمل مشواره ليوم الأحد، أحد القيامة.

لنستفد من عذابات المسيح، ونشرك معه عذاباتنا، ونغسل بآلامه ضميرنا، ونموت عن ماضينا، المثقل بالخطايا.

لنصلّ تحت أقدام الصّليب، ولنقبّل جراحات من فدانا، بدمه فأحيانا، حتّى يظهر لنا، نحن شعبه وميراثه، فينصرنا على أعداء الرّوح الخفيّين وعلى أعداء الجسد الظّاهرين، ويوحّد وينصر لبنان، وليأت ملكوته إلينا، والى كلّ العالم. آمين.

الموضوع السّادس ليوم السّبت: "محبّة اللّه."

صلاة الافتتاح: طوبى لمن يعلّمه الحقّ بذاته... ليصمت جميع المعلّمين، ولتسكت الخلائق كلّها في حضرتك؛ وأنت وحدك علّمني." 1 اقتداء 3: 1و2

في سياق سنة الآب.

وقف بولس الرّسول، وسط " الأريوباغس " وقال: يا أهل أثينا، أراكم أكثر النّاس تديّنا، انّي وأنا أنظر إلى معابدكم، وجدت معبدا كتب عليه " الإله المجهول " فأنا أبشّركم، بذاك الذي تعبدونه، وأنتم تجهلونه.

اخوتي! الإله المجهول، هو ذاته اله المحبّة، الذي أظهره لنا، الابن الوحيد، وتكلّم عنه، هذا الإله، هو اله إبراهيم، واله اسحق، واله يعقوب.

فاللّه لم يره أحد أبدا، الابن الوحيد الكائن في حضن الآب، هو الذي أظهره لنا، " أي أب يسأله ابنه رغيفا، فيعطيه حجرا؟ أو يسأله بيضة فيعطيه حيّة؟ فإذا كنتم أنتم الأشرار، تحسنون العطاء لأولادكم، فكم أولى، أباكم السّماوي، أن يمنح من يسألونه، الرّوح القدس."

لا نستطيع أن نخاطب اللّه قائلين: " أبانا " إلاّ إذا استطعنا أن نقول للآخر " أخانا " فالآب أبو الجميع، والبشر اخوة وأخوات.

سئل المخلّص يوما: أيّة هي، أعظم الوصايا؟ فأجاب: " أن تحبّ الربّ إلهك، من كلّ قلبك، ومن كلّ نفسك، ومن كلّ فكرك، فهذه هي الوصيّة العظمى والأولى. "

اللّه كلّي الجمال، ووحده يقدر أن يشفي، غليل شوقنا إليه، يقول القدّيس أغوسطينوس: " إنّ قلبنا لا يزال تعبا، حتّى يستريح فيك أنت وحدك يا أللّه ". أحبّنا اللّه، وأجاد علينا، بنعم طبيعيّة، ونعم فائقة الطّبيعة.

خلق اللّه الإنسان، وأضرم حبّه في قلبه، فهام بجمال الخلائق والكائنات، التي أبت أن تحلّ محلّ خالقها، لبطلانها وزوالها، لعب به الشّيطان، فبعد قلبه عن ربّه، وإذا هناك ملذّات فانية وآلام وأمراض، تذهب بحياته، فهتف: " باطل الأباطيل، وكلّ شيء على الأرض باطل، خلا محبّة اللّه، والعمل بوصاياه ".
كثيرا ما يأخذ الفرح بمجامع قلوبنا، حين نرى السّماء تضحك بكواكبها، والأرض بربيعها، فإذا كانت مشاهد الطّبيعة الفانية، صورة جمال اللّه غير الفاني، تخلب قلبنا وتستأثره، فكم أحرى جمال اللّه الذي " لم تره عين ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر."

إننـآ لنعجـب مـن سمـوّ اللّـه وعظمتـه، ونحـن نـراه بمـرآة الطّبيعـة، فمـا بالنـا غـدا، حالمـا نـراه وجهـا لوجـه، سـتكون حتمـا حالنـا، حـال الرّسـول عنـدما هتـف قـائلا: " انيّ لواثــق، أن لا مــوت ولا حيــاة ولا ملائكــة ولا الرؤســاء ولا السّــلاطين ولا هــذه الأشـياء الحاضـرة ولا المسـتقبلة، لا قـوّة ولا علـوّ ولا عمـق ولا خليقـة أخـرى، تقـدر أن تبعدني، عن محبّة اللّه."

أحبّنـا اللّـه، فخلقنـا علـى صـورته ومثالـه، ورحنـا نفعـل بقـوّة العقـل، أفعـالا شـبيهة بأفعالــه، سـيّما في هــذا الــزمن، تــدانت المســافات جــوّا وأرضــا وبحــرا، بالطــائرات والسّـيّارات والسّـفن، نقلنـا الأصـوات والحـوادث والأخبـار، إلى أطـراف العـالم الأسـفل والأعلـى عـبر الإنترنـت وبـدأنا نتنقّـل بـين الكواكـب، بعـد أن سـبرنا أغـوار البحـار، مكتشـفين أسـرارا مـن الكـون، كانـت للأمـس القريـب، أحـاجي وخيـالات، سـلّطنا علـى سمـك البحـر، وطيـور السّـماء، وجميـع الحيـوان الـدابّ علـى الأرض مشـركا إيّانـا في سعادته ومجده؛

وهنـا هتـف المرتّـل قـائلا: " مـن هـو الإنسـان حـتّى تـذكره، وابـن البشـر حـتّى تفتقـده، أنقصــته عــن الملائكــة قلــيلا، بالمجــد والكرامــة كلّلتــه، وعلــى أعمــال يــديك سـلّطته، وكـلّ شـيء أخضـعت تحـت قدميـه، أيّهـا الـربّ ربّنـا، مـا أعجـب اسمـك في كـلّ الأرض ".

أخطأ أبوانا الأوّلان، فوصمتنا خطيئتهما الأصليّة، مهينة اللّه، مع ذلك استحالت إلى شفقة، على الجنس البشري، يوم رأينا يسوع طفلا يبكي في مزود، وملائكة ترتّل: " المجد للّه في العلى وعلى الأرض السّلام ".

محبّة اللّه هذه، كانت أغرب وأعجب، في سرّ الفداء " ما من حبّ أعظم من هذا، وهو أن يبذل الإنسان نفسه، عن أحبّائه."

وأعجوبة عجائب المحبّة الإلهيّة، تلألأت في سرّ الأوخارستيّا، عندما رسم سرّ القربان الأقدس، الذي هو سرّ آلامه وموته لأجلنا، " اصنعوا هذا لذكري " وكتب بولس لأهل كورنتس يقول: " إنّكم كلّما أكلتم من هذا الخبز، وشربتم من هذه الكأس، تخبرون بموت ربّنا إلى أن يأتي " فقد ترك لنا المسيح ذاته في القدّاس، وفي سرّ القربان ذكرا محسوسا، تحت أعراض الخبز والخمر، لكي يقع تحت أنظارنا ولا ننساه، بحيث ليس المسيح هنا، صورة أو كتابا أو تحفة، بل هو معنا بشخصه، كلّ الأيّام حتّى منتهى الدّهر.

بعد هذا، ننتقل إلى ما يجب علينا، أن نعمله نحن نحو إلهنا، جوابا على هذه المحبّة العظمى:

1: أن نحبّ اللّه، ونعبده بكلّ قلبنا، وبكلّ نفسنا، لأنّه هو أحبّنا أوّلا متّقينه في كلّ طرقه " يا بنيّ أعطني قلبك، ولترع عيناك طرقي " ماذا عساه أن يعمل، أكثر

ممّا عمل، فنحن المحتاجون، وهو في غنى عنّا " ماذا وجب أن أعمل لكرمي ولم أعمله. "

2: أن نحفظ شريعته المقدّسة، قال يسوع: " إن حفظتم وصاياي، ثبتّم في محبّتي، كما انيّ أنا، حفظت وصايا أبي، وأنا ثابت في محبّته، أنتم أحبّائي، إن صنعتم بما أوصيتكم به." لهذا بداعي المحبّة، علينا أن نحفظ شريعة الربّ، فقد أملا شرائعه علينا، بمحبّة إلهيّة، لأجل سعادتنا وخيرنا، قائلا: " ليست مرضاتي، بموت المنافق، بل أن يعود عن طريقه ويحيا."

3: أحبّنا اللّه حتّى الغاية، فيجب عمّا خصّنا، أن نجاوب على المحبّة بمحبّة، قال بولس الرّسول: " لو كنت أنطق بلغة الملائكة والنّاس، ولم تكن فيّ المحبّة، فإنماّ أنا نحاس يطنّ، أو صنج يرنّ، بل لو كانت لي النبوءة، وكنت أعلم جميع الأسرار، والعلم كلّه، ولو كان لي الإيمان حتّى أنقل الجبال، ولم تكن فيّ المحبّة، فلست بشيء." فمن يموت مصرّا على عدم التّوبة، هو عدم، يقول السيّد المسيح " خير له لو لم يولد."

فمن يحبّ اللّه، ويحفظ شريعته، يحبّه اللّه ويعتني به.

" من يحبّني، أبي يحبّه...

" إنّ عيني الربّ على الأبرار لينجّيهم. "

" يرسل ملائكته ليحفظوهم، وعلى الأيدي يحملونهم."

" شعرة واحدة من رؤوسهم لا تهلك...
" أحبّاء اللّه، لا يصيرون إلى دينونة، بل ينتقلون من الموت إلى الحياة."

وأيّ إنسان يصنع السّوء، ويعادي اللّه، ويقول: لا أعبد ...
هو إنسان شقيّ، " عليه الغضب والسّخط والشدّة والضّيق "
" وجه الربّ على الأشرار ليمحو من الأرض ذكرهم. "
" أغربوا عنّي يا ملاعين، إلى النّار الأبديّة ...

إذا لا يحـقّ للإنســان، أي إنســان، أن ينســب هلاكــه، إلاّ إلى ذنبــه، فــانّ الــرّوح القدس، يخاطب الإنسان قائلا: " هلاكك في يدك يا إسرائيل "

وما يقال عن الفرد، يقال عن الجماعة:

هو في بلبال دائم، البيت الذي لا حبّ للّه فيه، ولا احترام لشريعته.
ولا راحة لساكني المدينة، المستسلمة للخلاعة والفساد.
ولا دعائم سلام، في المملكة التي لا تحترم، شريعة اللّه.
" الويل للأمّة الخاطئة، الملطّخة بالإثم، ذريّة المجرمين، البنين الفجّار."
" ويــل للقــائمين مــن الغــداة، في طلــب المســكر، المســتمرّين إلى العتمــة، والخمــر تلهبهم، وفي مآدبهم الكنّارة والعود والدفّ والمزمار، ولا يلتفتون إلى عمل الربّ. "

" على مسمع مني، قال ربّ الجنود: " إنّ بيوتا عظيمة وجميلة ستخرب، وتبقى بغير ساكن. "

أيّها الأعزّاء! ملأ اللّه الصحف، في كلا العهدين، تهديدا للجماعات الذين مع محبّته لهم، أعرضوا عنه، وخالفوا شريعته.

فتارة، يشبّههم بالأرض التي قبلت المطر مرارا، وأنبتت شوكا وحسكا فرذلت ولعنت وأحرقت.

وطورا، بالكرم المحبوب، الذي غرسه في رابية خصبة، معتنيا به، فبدلا من أن يثمر عنبا، أثمر حصرما برّيّا، فيهدده بإزالة سياجه، وهدم جداره، وجعله مباحا مدوسا، من كلّ عابر سبيل.

وأحيانا يخاطبهم بالتّصريح، كما خاطب مخلّصنا الإلهي، أورشليم بقوله: " يا أورشليم يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء و..

وقد وضع اللّه، هذه التّهديدات في العمل، أتى بالطّوفان، على عالم المنافقين، وأحرق صادوم وعامورة، بالنّار والكبريت.
وقى نوحا ولوطا البارّين، كأرز الربّ، من الطّوفان.

عـن الجليليّـين، الـذين خلـط بيلاطـوس، ذبـائحهم بـدمائهم، وعمّـن سـقط علـيهم الـبرج في شـي لوحـا، قـال: " أتظنّـون أنّ هـؤلاء، كـانوا أكثـر إثمـا، مـن غـيرهم، فـان لم تتوبوا، تهلكوا جميعكم."

فلنخـف أيّهـا الاخـوة، ولنتـب إليـه، مسـكّنين غضـبه الإلهـي، عنّـا وعـن العـالم، لـنكن تلك البقيّة الباقية، حتّى لا نصير مثل صادوم، ونشبه عامورة.

لنحـذر مـن مغريـات العـالم، مـن الأزيـاء الخلاعيّـة، مشـاهد الصّـور المتحرّكـة والمسـارح القبيحـة، السّـينما والـبرامج الجنسـيّة الإباحيـة، المـدارس اللاّدينيّـة، ومـا يسـمّ قلوبنـا وآدابنـا كالمخـدّرات، وشـرب الكحـول بكمّيّـة مضـرّة، غـير مبـالين بعقـل نفقـده، وبقلـب نفسـده، وبجسـم نتعبـه، وبشـرف نضـيّعه، ومـال نبـدّده، وببيـت نهدمـه، وبزوجة وأولاد نشقيهم.

سئل القـدّيس بنـديكتوس لابـر 1783 .كيـف يجـب أن نحـبّ اللّـه تعـالى فأجـاب: " يجـب أن يكـون لنـا ثلاثـة قلـوب، الأوّل مـن نـار للّـه، الثّـاني مـن لحـم للقريـب، الثّالث من حديد لذواتنا.

أيّهـا المسـيحيّون! برهنـوا علـى محبّـتكم للّـه، بحفـظ شـرائعه المقدّسـة، وشـرائع الكنيسـة، أمّنـا الحنـون، مسـتمعين لصـوت الـربّ، بفـم الوعّـاظ والكهنـة، بكـلّ طاعـة وخضـوع، والـه السّـلام، الـذي أعـاد مـن بـين الأمـوات، راعـي الخـراف العظـيم، بـدم العهـد

الأبـدي ربّنـا يسـوع المسـيح يكّملكـم بكـلّ عمـل صـالح، حـتّى تعملـوا بمشـيئته، إلى أبد الدّهور. آمين.

الموضوع السّابع والأخير، ليوم أحد القيامة، خاتمة الرّياضة الأولى.

صلاة الافتتاح: هب لنا، أيّها الرّوح القدس نعمتك، أنلنا من هذه الرّياضة، المنفعة التي نتوخّاها، لتزداد النّفوس المفتداة، معرفة بك، ومحبّة لك، يا من أنت وحدك، الطّريق والحقّ والحياة.

المسيح قام، حقّا قام.

تقرع اليوم أجراس الفرح، هنا وفي لبنان، وكلّ العالم، نلبس ثياب العيد الجديدة، نزور بعضنا بعضا، فرحين متصالحين ومعيّدين مع التمنّيات، أفراح مواكب، تزحف باتّجاه الكنيسة، اعترافات صادقة وتوبة وقصد صالح وثابت، بعدم الرّجوع إلى الخطيئة، ومناولات قربانيّة، يحلّ فيها المسيح، في الفم والقلب، تراتيل تشنّف الآذان والعقول والقلوب، زينة تبهج الأنظار: زهور متنوّعة، وأشرطة ملوّنة وأنوار، شعب جديد، يولد من جديد، مع المسيح، المنتصر على الجحيم والموت، على طريق الأمل والرّجاء والمحبّة، عيد فيه يتزاوج ويأتلف، فرح الجسد وفرح الرّوح، لماذا؟ لأنّ المسيح قام من بين الأموات.

عيد فيه نهنئ، حضرات الآباء والأخوات والمؤمنات والمؤمنين، كلّ أبناء الرعيّة، كبارا وصغارا، كلّ اللّبنانيّين في الوطن والمهاجر، أيّا كانت أنتما آتهم، طالبين للجميع، حياة سعيدة، وعمرا مديدا، في جوّ أخوي، سالم وصافي، بعيدا عن الحزن والضّغينة والحسد والأنانيّة وماضي خلافاتنا البغيض، لنبقى أبناء اللّه، شعب صلاة ومحبّة وسلام ورجاء وخلاص.

هذه الأمنيات، في هذا اليوم السّعيد، تدعونا إلى ممارسة فضائل، الاستقامة والتجرّد والتّضحية والغيرة والفطنة والحكمة، والشّجاعة في العمل، والصّبر على المحن والتّجارب، والسّير حسب إرادة الربّ.

في أيّام جفّ فيها الحبّ والإيمان، ما عسى المسيح أن يعمل؟ أيّام رحنا فيها، نفتّش عن مسيح آخر، يتراءى لنا، بالجاه والمادّة وحياة المتعة والشّهوة الدّنسة واللذّة الفاسدة، بالسّكر بالمخدّرات وكلّ أنواع المخدّرات، بالتعدّي على ما أوصاه، وعلّمه اللّه بواسطة كنيسته، في في هذه الأيّام الرّماديّة، يطلّ علينا فصح الربّ، نورا يهدي، وأملا يشعّ في الأفق، فلنأخذ العبرة:

أوّلا: من تاريخنا . لبنان البلد الوحيد، الذي غنّاه، أنبياء التّوراة وشعراؤها، وزاره السيّد المسيح، والعذراء مريم والرّسل، وشرّف المسيح شعبه، بعمل تحويل أعجوبة الماء إلى خمر، في عرس قانا الجليل وشفى في صيدا، المرأة الكنعانيّة، كما جاء في

إنجيل متّى، وفي سيّدة المنطرة، انتظرته العذراء أمّه، بينما كان يبشّر، في المدن العشر الفينيقيّة ..

ثانيا: ظهر أوّلا، لمريم المجدليّة، التي أحبّت كثيرا، فاستحقّت كثيرا، سبقت النّسوة للقبر، ملتقية المسيح أوّلا، فسمعت صوت المعلّم يناديها " مريم! لا تلمسيني، مشاهدتي كفت " آمنت، ركضت أخبرت الرّسل، فكفّوا عن البكاء، ومنهم من شكّ وارتاب.
عاد المسيح، في مثل هذا اليوم، وظهر لاثنين من الرّسل، على طريق بلدة عمّاوس، حيث كانا يتحدّثان، وإذا بالمسيح يظهر لهما، فحسباه غريبا عن أورشليم، ولما كسر معهما الخبز، عرفاه، ولا لهؤلاء صدّقوا؛

الى أن ظهر للرّسل مجتمعين، فوبّخهم لأنّهم لم يصدّقوا، لا التّلميذين اللّذين رأياه وآكلاه، ولا المجدليّة.

بعد ألفي سنة، وبعد الاستفادة من أخطاء، وشكّ من سبقونا، فلنؤمن: أنّ يسوع قام حقّا من بين الأموات.
وبأنّه يحيا فينا بروحه، ولا يزال يخاطبنا بإنجيله.
ولنطلب النّعم من أبي الأنوار، ليقيمنا على مثاله، فإذا عشنا، بشبه موت، مع من قال: " أنا القيامة والحياة." فسنقوم بشبه قيامته.

قيامة لنا من الخطيئة والشرّ، وكلّ أشكال الموت الرّوحي، قيامة فيها وفاق، ورباط محبّة، للآباء وللأمّهات، لتظلّ العائلة المسيحيّة، نموذجا صالحا، فينمى الأولاد، بالنّعمة والحكمة والقامة والطّاعة، عند اللّه والأهل والنّاس، وإذ ذاك يخيّم على العالم، سلام المسيح.

قيامة للبنان، وطننا الأوّل، لينسى ماضيه وحاضره، وينطلق في مستقبل آمن، فيعيش بنوه حاضرين وغائبين، في أمن وسلام وحرّيّة ووفاق وعيش مشترك واستقرار وسماح وعدالة.

قيامة فيها، راحة لموتانا وشهدائنا، قيامة فيها نصالح اللّه وذواتنا والقريب، ليبقى المسيح لنا، عربون محبّة وغفران ومصالحة ومجد وقيامة. آمين.

كلمة وداع:

اخوتي أخواتي المؤمنين والمؤمنات.
أكبرت البارحة تقوى وغيرة الرعيّة، كلّكم مررتم أمام القربان، مشهد سماوي لصلوات وزيّاحات وتراتيل واعترافات ومناولات وذبائح تقام، وعلى مدى ساعات النّهار، وقسم من اللّيل، تضرّعات تقرع أبواب السّماء، فكيف يصمّ ربّنا، مستجيب الطّلبات أذنه، عن سماع صوت بنيه، يمجّدونه ويمدحونه، عسى أن تظلّ رعيّتكم، علّيّة صهيون، على الأرض.

سأنهي أحبّائي الرّياضة، بعد العظة، وأمنح باسم سيادة راعي الأبرشيّة وحضرة كاهن رعيّتكم وباسمي، الغفران الكامل، لكلّ الّذين اشتركوا بالرّياضة، عملا بتقاليد كنيستنا، ووصيّتي لكم كلبنانيّين، ألاّ تنسوا وطنكم الأمّ لبنان، الذي يضمّ ترابه، رفات آبائكم والجدود، فتزرعوا في أفكاركم، وأفكار بنيكم، حنينا وشوقا، للعودة يوما ما إلى البيوت التي فيها ولدتم، والى الأرض التي عليها نشأتم، مثلما تعود النّسور لأوكارها، واذكروا أنّ كاهنا مريّضا، مرّ بكم، مرور الحلم والنّسيم، مكلّما إياّكم بكلام اللّه، ليزداد غيرة على نشر رسالة الإنجيل، حتّى إذا سألتم عنه، في القادم من الأيّام، وقيل لكم: " انتقل إلى رحمته تعالى، صلّوا لراحته، مثلما صلّى معكم ولكم، عملا بشركة القدّيسين، على الأرض، باسطا يديّ

بتضـرّع، إلى اللّـه القـدير والى شـفيع كنيسـتكم، أن تظلّـوا خليّـة روحيّـة، ملـح الأرض،
خميرة في العجين، ومنارة على جبل. آمين.

الرّياضة الثّانية لأسبوع الآلام.

صلاة الافتتاح: ربّنا والهنا، لقد دعوتنا بإلحاح، لنكون من خاصّتك، ومن العاملين في كرمك، أعطنا نعمة روحك القدّوس، فنعي الرّسالة، التي أنت تريدها في كنيستك، لنلتزم في إحياء روح إنجيلك، في عيالنا وفي مجتمعاتنا وفي العالم الذي خلقت. آمين.

مقدّمة الرّياضة: قال أحد القدّيسين: دلّوني على إنسان يتأمّل، عشر دقائق في النّهار، وأنا أكفل لكم، أنّه يصبح قدّيسا، فالقدّيسون عادة كلامهم صادق، لأنّهم يقولون للنّاس، ما يعيشونه ويحسّونه؛ الاختبار يدلّنا، أنّ كلّ من يمارس رياضة روحيّة، ويأخذ كسرة على سماع المواعظ، ويتأثّر بها ويتأمّل بموضوعاتها وروحها عشر دقائق فقط بالنّهار، تتغيّر حياته.

لا نعرف لماذا ينفر النّاس من كلمة تأمّل، كأنّه يوجد خوف من التقاء الإنسان مع ذاته، أو من تبديل ذاته.

إذا التأمّل، الصّلاة، مع سماع الرّياضات الرّوحيّة وممارسة الأسرار، سيّما الاشتراك بذبيحة القدّاس، أنجع وسيلة للقضاء على الفتور الدّيني، ويضعنا على الخطّ الصّحيح.

لهذا لا يلزمنا ذكاء، بقدر ما يلزمنا، إرادة وانفتاح قلب، حتّى نرى ونسمع ونعيش مع اللّه والضّمير.

إذا اللّيلة وأوّل ليلة من ليالي أسبوع الآلام كاهن الرّعيّة الجليل وأنا في خدمتكم، ومعا مدعوّون للتأمّل بموضوعات الرّياضة، لما فيها من تسبيح وصلاة وصمت وإيمان ورجاء ومحبّة، حتّى نقوم كلّنا نهار الأحد، مع المسيح القائم من الموت، مؤمنين جددا، بروح جديدة، وإيمان جديد.

الموضوع الأوّل ليوم الاثنين من أسبوع الآلام:

"اعملوا عمل خلاصكم بخوف ورعدة."

أيّها الأحبّاء! ذلك ما ورد، في رسالة رسول الأمم، إلى أهل فيلبسيوس، لقد أمرهم أن يعملوا، عمل خلاصهم بوجل، نعم إنّ الخلاص لأمر مهمّ، فهو كلمة موجزة، لكلّ رسائل الرّسل، نزول الربّ كان لأجل خلاصنا: " ولأجل خلاصنا نزل من السّماء، كلّ أعمالنا يجب أن نوجّهها، لعمل الخلاص، وعمل الخلاص بخوف ورعدة؛ يقول مجمل النّاس، بأنّ عملا هو مهمّ، إذا عالجه الفلاسفة والعظماء بدقّة وامعان، أحرى بعمل الخلاص، هذا العمل الذي كم فكّر به المسيح اللّه، واللّه كلّ شيء؛ فمن يضارع أو يضاهي أو يماثل جبروت وعظمة وقدرة وكمالات اللّه.

لقد عدّ هيكل سليمان، أعجوبة الكون، وما ذلك إلاّ، لأنّ الألوف من العملة، ظلّوا يعملون به، سبع سنوات متتالية، حتّى أمكنهم إقامته، على أعمدته الجبّارة، فلو اجتمع كلّ البشر، ليعملوا عملا واحدا، بمدّة ألفي سنة، وحده اللّه بكلمة واحدة، يختصر كلّ منجزات الزّمان البشريّة، ويولّد فيها جمالا، يعجز البشر عن أن يماثلوه بذرّة واحدة؛

قال الله، على لسان آشعيا: بمحبّة أزليّة أحببتك يا إسرائيل، إذا فقد اهتمّ بنا الربّ، منذ الأزل، وسيظلّ اهتمامه بنا، حتّى آخر الأيّام، إلى أن يقول لنا: " تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدّ لكم، من قبل إنشاء العالم "،

محبّة اللّه ترافقنا، في كلّ أدوار حياتنا، من المهد إلى اللّحد، وهكذا نرى أنّ اللّه، يدبّر لنا كلّ النعم التي نحتاجها، ويقول على لسان أنبيائه: " لا أريد موت المنافق، بل أن يرجع ويتوب اليّ."

يتساءل الفلاسفة الكفرة، ماذا كان يعمل اللّه تعالى، في الزّمان الذي سبق الخلق؟ فيجيبونهم! لقد كان يعدّ القصاصات والعقابان، للمتشدّقين عليه أمثالكم ...

أمّا نحن، فبماذا نجيب هؤلاء الكفرة؟ بهذا! هل من زمان قبل الخلق قال أوغوسطينوس في اعترافاته: "كان اللّه يصنع منذ البدء، ما كان يصنعه الآن والى الأبد؛ محبّة اللّه واجتهاده لأجل خلاصنا أزليّان، ومن البدء يدبّر النّعم، ليوفّر لنا أمر الخلاص.

ماذا صنعت في هذا النّهار، لأدبّر أمر خلاصي، بخوف ورعدة، كما يقول بولس الرّسول؟ قال يسوع: " طعامي أن أعمل مشيئة من أرسلني " ما هو هذا العمل، الذي أرسله لأجله، والده على الأرض؟ ذلك هو إرجاع الخراف الضّالّة لحضن

أبيه، وفي آخر أيّام يسوع، على الأرض، صرخ من فوق الصّليب، " الآن قد تمّ العمل " وأيّ عمل؟ عمل الخلاص للبشر أجمع.

لم يكتف اللّه بكلّ هذا، بل كلّف الملائكة زينة السّماء، بأن يخصّص كلّ منهم، بحراسة إنسان، وذلك ليوفّر لكلّ منّا، أمر الخلاص، بدون استثناء.

لم يرسل يوحنّا المعمدان، ذلك الملاك بشكل إنسان، إلاّ ليدبّر ويفتح طريق الخلاص، وهكذا الرّسل، فما جابوا العالم، بأربعة أقطاره، إلاّ لأمر الخلاص وفوق ذلك، لم يكتف اللّه بهذا، بل اجترح العجائب ولا يزال يجترحها، ويظهر المعجزات والنّبوءات، رغبة منّا بأن نستيقظ، من غفلة العالم، ولم يستعمل الصّبر؟ لماذا يهدّدنا بعدله الرّهيب؟ أليس لنعمل عمل الخلاص؟.
لم يطلق على المسيح، اسم مجترح العجائب، ولا فيلسوف، ولا أعجوبة البشر، ولا خلافه، بل إنّما سمّي وبحقّ " مخلّص العالم " وكلّ يوم يقرع الربّ، باب قلوبنا، ليقينا من السّقوط، في حمأة الخطايا، وليهدينا سواء السّبيل، ولكم قال على لسان آشعيا: " انيّ أقمتك، لتكون خلاصي، إلى أقاصي الأرض "؛ أمّا وقد أعطانا اللّه، جميع ما يمكن أن يعطى، لنعمل عمل خلاصنا ولم نعمله، فلا يجب أن نفاجأ، يوم ننتصب يوم الدّين أمام عرشه، صفر الأيدي، فيقول لنا: " ماذا يجب عليّ، أن أعمل بكرمي، ولم أعمله.!

تـرى! أتسـتحقّ الـنّفس كـلّ هـذا؟ نعـم تسـتحقّ، لأنّهـا شـريفة، ولأنّهـا خلقـت علـى صـورة اللّـه ومثالـه، ثمّ هـي روح جـوهري بسـيط، موجـودة وخالـدة، وحيّـة وحـرّة، وعارفـة بأعمالهـا، غايتهـا إحيـاء الجسـد، والتمتّـع باللّـه تعـالى سـرمدا، بينمـا الجسـد مقصـور، علـى زمـن محـدود، بعـده ترجـع عناصـره، إلى الـتّراب الفـاني، فلنحـرص مـن أن نبيـع أنفسـنا، بأكلـة عـدس، بدقيقـة زمانيّـة، فـلا شـيء يعـوّض، عـن خسـارة الـنّفس، لا مـال ولا عقـار ولا جـاه ولا علـم،" مـاذا يفيـد الإنسـان، لـو ربـح العـالم كلّـه وخسر نفسه."

عنـدما استحضـر، الشّـهيد الصّـغير جـان، في إحـدى جـزر اليابـان، أمـام الـوالي، ذهـب والـده لـيرى استشـهاده، وفيمـا كـان الولـد، صـاعدا علـى المشـنقة، حانـت منـه نظـرة، فـرأى والـده بـين الحاضـرين فقـال: "كـذا يـا أبي، يجـب أن يفضّـل أمـر الخـلاص، علـى مكـارم العـالم "، أجابـه الوالـد: " أسـكت يـا ولـدي، وتشـجّع حـتّى النّهايـة، فـنحن واخوتـك ووالـدتك، إلى هـذا مصـيرنا، وهكـذا عنـدما أنزلـت جثّتـه، ارتمـى الوالـد عليـه يقبّلـه، بعيـون حـرّى، فتخضّـبت شـفتاه بـدم ابنـه؛ يمكننـا أن نقـول، عن هذا الولد، انّه عمل عمل خلاصه، بخوف ورعدة.

لماذا الاهتمام بعمل الخلاص؟ لأنّ النّفس خالدة، ومدعوّة لحياة اللّه، بعد الموت.
يـدلّنا علـى شـرف الـنّفس أيضـا، الشّـيطان الـذي يـزأر حولنـا لاختلاسـها، " إذا خـرج الـرّوح الـنّجس، مـن جسـد الإنسـان، يطـوف أمـاكن، لا مـاء فيهـا، ولا شـجر، فيقـول

آنئذ، لأرجع إلى بيتي، الذي ولدت فيه، وهكذا يعود إلى تلك النّفس الشّقيّة ويزيدها شقاء.

ثمّ إنّ ما يضطرّنا، إلى أن نعمل، عمل خلاصنا، هو أنّ نفسنا ليست بمستعارة هي لنا، إذا خلصت خلصنا، وإذا شقيت شقينا، وضرب من البله والجنون، إذا لم يعتن الإنسان، بأمر نفسه، قال بولس الرّسول: " من لا يهتمّ بذاته، هو شرّ من ذاته "، وقال أيضا: " إن اجتر حتم المعجزات، ولم تعملوا هذا، اهتماما بأمر خلاصكم، لم تعملوا شيئا "؛ فعلى اهتمام الإنسان بنفسه، يتوقّف خلاصه، لهذا قيل: " من لم يكن، واعظا لنفسه، كلّت عنه المواعظ.

أخيرا، إنّ ما يدلّنا على شرف النّفس، هو أبديّتها، فان خلصت، تخلص الى الأبد، وان شقيت تشقى إلى الأبد، حتّى لو قدّر، أنّ عذاب جهنّم، وخز إبرة، ولكن إلى الأبد لكفى ذلك، بأن يرعد فرائصنا رعبا، فكيف وجهنّم منبع العذاب الدّائم؛ إذا فالسّعادة، ليس بعدها سعادة، والشّقاء ليس بعده شقاء.

لنرجع قليلا إلى ذواتنا، نهتمّ بكلّ شيء، ما عدا خلاص أنفسنا:
نهتمّ بثيابنا، وكيف نرتديها، لنظهر أكثر جمالا، أمام مرأى العيون، نهتمّ بأكلنا الشّهي وبتنميقه، إشباعا لجوعنا الزّمنيّة، ولشراهتنا، وعندما ينتابنا المرض، تهتزّ أركان النّفس فينا، فنذهب إلى الطّبيب، طمعا في الصحّة، وبردّ العافية، ترى

أنصنع كلّ هذا، نظرا للنّفس؟ لا أعلم، هنا يجب أن نفحص ضمائرنا، في هذه الرّياضة، فعلى الغاية، وعلى إصابة الهدف، يجب أن ننصبّ بكلّيّتنا.

يا جاهل! في هذه اللّيلة، تؤخذ منك نفسك، والذي أعددته لمن يكون؟ يأتي الموت، في ساعة لا تظنّونها، فإذا كنت يا صاح في الخطيئة، فأنت في ظلام، لأنّك لم تهتمّ بأمر خلاصك ن لم تفكّر بعذاب، وأبديّة جهنّم، لهذا فالنّفس أمانة في أعناقنا، والويل لمن يفرّط بها.
هل ندفعها بين يدي اللّه، سوداء كالفحم، لتخسر بهاءها، بيوم الحساب، أم بيضاء ناصعة كالثّلج؟

فإلى الرّياضة، أيّها الأحبّاء، ففي الرّياضة يمكنكم، إرجاع جمالها وبهاءها ورونقها.
طلبت تريزيا الكبيرة يوما، من عريسها يسوع، أن يريها نفسا بارّة، ونفسا شقيّة، فأراها الأولى، فانبهرت لجمالها، وللنّور المنبعث منها، وأراها الثّانية، فاشمأزّت من بشاعتها.
لنرجع جمال نفوسنا، لنعد ملائكة كذي قبل، يا جاهل! لفظة تدلّ على أنّ اللّه يقرّعنا، في ذلك اليوم، الذي ينتظرنا به، على عتبة الأبديّة، ولربّما إذا لم نحسن العمل سيواجهنا بقوله: " قضيت حياتك، بجمع حطام الدّنيا، ماذا بقي لك منها؟ وماذا أفادتك؟ وما الذي تعطيه فداء نفسك ...

سيقول لنا الربّ، في ذلك اليوم،: " لقد وفّرت لكم الوسائط، فأين أتعابي " وسيقول لنا المسيح أيضا: " أهرقت دمي لأنجيكم، يا معشر البشر، فلم تفكّروا بشيء " وسيقول لنا الرّوح القدس بدوره: " عبثا أمددتكم بالنّعم، وحفظت لكم حياتكم وشبابكم، فتلهّيتم بالأباطيل، يا جاهل!!!

أمّا نحن المسيحيّين، فسنكون إذ ذاك، موضوعا لسخطه وكم سيقرّعنا بقوله: ربّيت يوضاس جديدا، أنكرني عند صياح الدّيك، أنكر جميلي، شقيّ معدم بذلت دمي لإسعاده، سننت الشّرائع والوصايا، رفقا بفحمة، تتّقد إلى الأبد في جهنّم.
اخوتي! إنّ عدل اللّه لرهيب، فلنكن أمناء لدعوتنا، لأنّ الغد يكتسب، بقوّة اللّه، وبالا رادات الصّالحة، لأنّ اللّه الذي خلقنا بدوننا، لا يخلّصنا بدوننا، كما قال القدّيس أغوسطينوس، ولنهتمّ بأمر خلاصنا، ليمكننا أن نمجّده في السّماء، حيث السّعادة إلى الأبد.

الموضوع الثّاني ليوم الثلاثاء، من أسبوع الآلام.

" إن شئت دخول الحياة، فاحفظ الوصايا."

صلاة الافتتاح: أيّها المسيح الربّ، أنت معنا وحاضر اليوم، كما في الأمس، وستبقى للأبد، في مصير العالم، نضع اليوم وكلّ يوم، مصيرنا بين يديك، على حياتنا وعلى بلادنا وعلى العالم، فكن الرّفيق والطّريق الألف والياء، البداية والنّهاية، لتطمئنّ قلوبنا، وتفرح أرواحنا، فيك أنت وحدك يا أللّه. آمين.

أيّها الاخوة! خلقنا اللّه، لنعرفه ونحبّه، وننال ملكوته، والخلاص والحالة هذه هو غايتنا الأوّليّة والأخيرة، والأكثر أهمّيّة، ولنخلص لا بدّ لنا، من الوصايا نحفظها، وهذه الوصايا هي وصايا اللّه، ووصايا أمّنا، الكنيسة الكاثوليكيّة، ولا بدّ من استعمال الوصايا، التي تأمرنا بها الكنيسة، واستتمامها بحذافيرها، وقبل استعمالنا لهذه الوصايا، نلتزم بأن نؤمن بها، كحقائق راهنة، وان علّمتنا إيّاها الكنيسة، وإذا أتممنا هذه الوصايا، كما يجب على كلّ مسيحي، حقّ لنا الاعتزاز والشّرف.

أنا مسيحي! فيا لعظم ديانتي ويا لعظمتها! لي الشّرف أن أكون مسيحيّا؛
عندما مثل بلاتون، الشّهيد الصّغير، أمام محكمة الوالي الرّوماني، سأله هذا ما اسمك؟ أجاب أنا مسيحي! وشرع يتلو عليه قانون الإيمان: " نؤمن باله واحد...

قال الوالي: " لقد سألتك، ما اسمك، ولم أسألك، عمّا إذا كنت مسيحيّا، أم لا " فأجاب ثانية بجرأة، دهش لها الوالي،" لقد أعطيت اسم بلاتون عند ولادتي، وانّي أضحّي حبّا بيسوع، حياتي وكلّ مالي " يقول القدّيسون: إنّ هذا القدّيس الصّغير، أظهر جرأة مدهشة، تلاشت أمامها، جرأة الفيلسوف الوثني أفلاطون، عندما أحضر إلى أثينا، وسئل عن اللّه، وعن رأيه في وجوده وكمالاته " قال: " يوجد عدّة آلهة،" قال ذلك، مخافة أن يحكم عليه، بأن يتلقّى السمّ الزّعاف، فيموت كما مات قبله سقراط.

أنا مسيحي! ومسيحيّتي تشرّفني، وإذا شئت أن أدخل الحياة المسيحيّة، وأعيش فيها، فلأحفظ الوصايا.

نقشت الوصايا على حجر، منذ أربعة آلاف سنة، غير أنّها منذ آلاف السّنين طبعت على قلب الإنسان طبعا، هي دستور قصير الكلمات، كثير المعاني، تقادمت عليه الأيّام، وظلّ جديدا.

تكبّر الإنسان وتجبّر، وحطّم بيديه لوحي الوصايا، وقال: " ليس اله، " وردّد مع رئيس الشّياطين، أكسر نيري ولا أعبد، ولكن كسر لوحي الوصايا أدمى يديه، وعبثه بهما، حطّه من أوج الرّقيّ، إلى دركات الهمجيّة، وثورته على اللّه خالقه، زعزعت أسس العالم الأدبي، وكادت تدكّ أركان الهيئة الاجتماعيّة دكّا.

بحثت مجلّة أميركيّة، بحثا دقيقا، عمّا سنّته حكومات، الولايات المتّحدة، من الشّرائع، منذ نشأتها، فوجدت أنّها تجاوزت، العشرة ملايين شريعة عدّا، انّه لعدد ضخم، تنصرم دون قراءة عناوينه، حياة الإنسان، ومع ذلك الرّقم الضّخم، من الشّرائع، نرى تلك البلاد، أكثر أرض اللّه، تماديا في ارتكاب المحرّمات، فمتوسّط حوادث القتل السنويّة فقط، يفوق الخمسة عشر ألف حادثة.

إنّ ذلك لأمر، يسترعي الرويّة والانتباه، عشرة ملايين شريعة، وضعتها حكمة البشر، فعجزت عن ترويض الإنسان، وضبط أهوائه الطّموحة إلى الإجرام، فاقترف من المحرّمات، أشكالا وألوانا وارتكب من الفواحش، ما عنّ له وطاب، وعشر وصايا فقط، قليلة الكلمات، كفيلة بأن تحفظ للإنسان حقوقه في الحياة، وتعلّمه واجباته، نحو ربّه، ونحو عائلته، ونحو قريبه، ونحو نفسه، وتضمن له السّعادة، على الأرض وبعد القبر.

جميل هو الدّين، الذي يرتكز على النظام، وعلى الوصايا، فإذا دخلنا مدرسة أو جامعة، ونظرنا التّرتيب، ولمسنا احترام القانون، نسرّ ونفرح، وإذا زرنا إحدى الدّول العظمى، ورأينا استعراضات جيوشها، والأمن ضاربا أطنابه في جنباتها، والتمدّن باسطا جناحيه عليها، انتعشت لهذا النّظام الرّائع قلوبنا.

وإذا دخلنا بيتا، يأمر به الأبوان، فيطيع الأبناء وتتدفّق خيرات الوفاق والمحبّة والإخلاص، نقف متعجّبين، من حكمة ربّ البيت. بالواقع! لم التعجّب! ذلك هو النّظام، النّظام الاجتماعي...

ما أجمل التّرتيب! وحتّى يكون التّرتيب؛ لا بدّ ممّن يأمر ويطيع، وفي هذا العالم المترامي الجنبات، من يأمر غير اللّه، هو يأمر، وعلينا نحن البشر، الطّاعة العمياء، ولماذا حقّ للّه وحده، أن يتسلّط على العالم أجمع، ويضع على كتفه نير الوصايا؟ لماذا يجب أن نطيعه، لا أن نتجبّر ونتكبّر عليه؟ ذلك لأنّه الخالق، لأنّه أوّل من أبدع الأصول، أصلي الجنس البشري العام: آدم وحوّاء كلّنا خلقنا من أبوينا هذين، إذا اللّه هو المصدر الأوّل، وللّه وحده التسلّط علينا.

عندما أحضرت والدة المكابيّين، مع أولادها السبعة، إلى البلاط الملوكي، وأمر الوالي أولادها، أن يكفر كلّ بوصايا موسى؛ أبوا، عذّبهم وبلاهم بشتّى البلايا، فلم يرتدعوا؛ أمرهم بأن يضعوا بخّورا للآلهة، فأبوا ثانية، وشرعوا يتلون، قانون الإيمان، ثمّ تطلّعوا إلى والدتهم، النّاظرة والمتألّمة، يريدون منها كلمة، فشجّعتهم قائلة: " لست أنا من أعطيتكم النّفس ولا الرّوح، ولست أعرف، كيف تحقّقت، هذه الرّوح السّامية ضمن أحشائي." إذا عندما يأمر اللّه، علينا السّمع والطّاعة، لأنّنا خليقته وصنع يمينه.

للّه الأمر، وحرّيّة التصرّف فينا، لأنّه مكوّن، وعلى صورته خلقنا، فأعطانا نفسا مدركة، نفسا أشرف ما يمكن أن يتصوّر، " أليس الفاخوري، مسلّط على طينه، وحرّ بأن يجعل منه، إناء للكرامة إناء للهوان؟ " هل من يمنعه عن استعمال حريّته والتصرّف بها، في جعل الإنسان، آنية جديدة على ذوقه؟ كلاّ فله وحده الحقّ، والسّلطان المطلق، في أن يدبّرنا ويتسلّط علينا بشكل غير محدود كيف يشاء، وعلينا الطّاعة أبينا أو شئنا، ورغم أنفنا، لسلاطين الدّنيا تخوم معلومة، والويل لهم إن تعدّوها، بينما سلطان اللّه يمتدّ، على كلّ الشّعوب، والدّول والعالم أجمع.

زعم بعض الفلاسفة واللاهوتيّين والفلكيّين، أن لو قدّر لأحد، أن يعيش ألفي سنة، ويمشي كلّ يوم مائة ميل، لن يصل بعد ألفي سنة، إلى أدنى سماء النّجوم.
وإذا مشى هكذا، ألف سنة أخرى، لن يقطع سمك هذه السّماء، ولو يلقى حجر الرّحى، من الفلك الثّامن، الذي هو أعلى الأفلاك، ودون السّماء العليا، مسكن الملائكة والقدّيسين، لن يمكنه أن يصل إلى الأرض، إلاّ بعد تسعين سنة، مع أنّ الحجر هذا، يقطع في كلّ ساعة، مائتي ميل، فمن يمكنه والحالة هذه، بل وأيّة وسائل، يمكنها أن تتعدّى، حدود اللّه تعالى؟.

أيّها الاخوة! أينما سرنا، فانّ يد اللّه تطالنا، وسلطانه علينا، وحتّى نخلص يلزمنا حفظ تعاليمه، حفظ شرائعه، حفظ الوصايا، وليس حفظ كلّ هذا بصعب عندنا، عندما نعلم ونتأكّد، بأنّ اللّه خالق، وله السّلطان أن يأمر، لأنّه مكوّن، وليس للأحد أن يتفلسف، أو يتشدّق عليه.

مـن النّـاس مـن يقـول: "إنّ سـيرتي ليسـت مثلهـا، سـيرة الآخـرين، فـذلك يجـدّف وآخـر يقتـل، وهـذا يلعـن" فيـا هـذا! سيسـألك الـربّ، عـن تجـديفك أنـت، وقتلـك أنـت، ولعنـك أنـت، كـلّ امـرئ منّـا، مسـؤول عـن عمـل خلاصـه الخـاصّ فمـا لنـا وللغير.

وكثـيرون يقولـون: " أمّـا أنـا فـانيّ، أخـدم اللّـه حسـب رأيـي؛ أنـا لا أعـترف ولا أتنـاول ولا أصـلّي "؛ فيـا صـاح! إنّ طريقتـك ليسـت مثمـرة، رويـدك! إنّ اللّـه أنـزل شـريعته، بالطّريقـة الـتي يجـب أن نسـلكها، لا علـى طريقتنـا وذوقنـا، ولـو أراد كـلّ، أن يتصـرّف في الـدّين، وفي حقائقـه، علـى حسـب ذوقـه وطريقتـه، لانهـدّت أركـان الـدّين، وانهارت أسسه، فكم في العالم من أذواق وطرق.

المستعدّون أن يحـوّروا الـدّين، بمـا فيـه وصـايا اللّـه والكنيسـة وأسـرارها، بـئس الاسـتعداد اسـتعدادهم، وبئسـت الكبريـاء تـنفخهم، فيظنّـون أنّ اللّـه، يسـير حسـب آرائهـم وأهـوائهم، ولا يـدرون كمـا يقـول ترتوليـانوس: " إنّ أمثـال هـؤلاء الـوثنيّين المتـأرجحين الفـاترين، بتفكـيرهم السّـقيم، هـم عـبء ثقيـل علـى كتـف الكنيسـة، يعـوق سـير الآخـرين نحـو غـايتهم، إنّ مسـيحيّا مقتنعـا بمسـيحيّته، تابعـا مبادئهـا بتـدقيق، لهـو أفضل من ألف فاتر، متبجّح منتفخ بمسيحيّته الجوفاء.

ملـك فرنسـا شـارل الخـامس + 1380 الملقّـب بـالحكيم، وضـع ذات يـوم علـى منضـدة، تـاج الملـك والسّـيف، ثمّ دعـا ابنـه وقـال لـه: " اخـتر التّـاج أو السّـيف "، فاختـار السّـيف، وقـال: " لا ينـال التّـاج إلاّ بالسّـيف "، هكـذا لا يفـوز الإنسـان، بتـاج الملـك السّـماوي، مـا لم يشـرع سـيف محبّـة اللّـه، علـى ميولـه الفاسـدة، ووسـاوس العالم والشّيطان.

لـو كلّفـتم أحـدا، ببنـاء قصـر لكـم وسـافرتم، وبعـد زمـان، رجعـتم يـدفعكم الحنـين، لرؤيـة قصـركم الجديـد، وإذا بكـم بـدلا مـن أن تقفـوا أمـام قصـر، تقفـون أمـام كـوخ، مركّـز علـى أعمـدة بسـيطة، أتلتزمـون بعـد أن رأيـتم مـا رأيـتم، أن تـدفعوا الـثّمن للبنّـاء، أم سـوف يقـول ذاك لكـم بـدوره، لقـد عملـت حسـب ذوقـي وطـريقتي؟ هنـا أيضـا مـن المفيـد لنـا، أن نعـود، إلى مـا ورد في الإنجيـل، عـن الوزنـات، الـتي أعطيـت لعديـدين، وقـد طمـر أحـدهم وزنتـه، في الأرض، ولمـّا عـاد سـيّده، رمـاه في الظلمـة البرّانيّـة، حيث البكاء وصريف الأسنان.

هكـذا نحـن! سـوف لـن يكـون لنـا نصـيب في ملكـوت السّـماء، أن تشـدّقنا وتفلسفنا، على حسب ذوقنا وطريقتنا...

لمـا خلـق اللّـه أبوينـا الأوّلـين، في جنّـة عـدن، وضـع الخـير ليهرعـا إليـه، والشـرّ ليتجنّبـاه، أمّـا وقـد اقترفـا الشـرّ، فلـم يهملهمـا المسـيح، بـل أتـى وعلّمنـا الإنجيـل والوصـايا، وقبلـه أنزلهـا الآب، لموسـى علـى الجبـل، إذ قـال لـه: " أنـا هـو الـربّ إلهـك، لا يكـن لـك الـه

غـيري " قـال هـذا، لكـي لا تشـترك في عبادتـه، لا أميـال الجسـد، ولا جمـال الطّبيعـة، ولا خلائـق أخـرى، فالعبـادة للّـه وباللّـه؛ عبادتـه فقـط تجـب أوّلا، ثمّ السّـجود لـه، والاعتراف به، والتّلاشي أمامه بالكلّيّة.

قيـل: إنّ الملـك نمـرود، حفيـد حـام، ابـن نـوح، قـدّم لأبنائـه الثّلاثـة، ثـلاث جـرار، الأولى مـن ذهـب، والثّانيـة مـن فضّـة، والثّالثـة مـن خـزف، ليختـار كـلّ مـنهم، واحـدة منها.

اختار البكر الأولى، المكتوب عليها . مملكة . فوجدها ملأى بالدّماء.

والثّـاني، فضّـل جـرّة الفضّـة، المكتـوب عليهـا . مجـد . فـإذا فيهـا رفـات مشـاهير العظماء.

أمّـا الثّالـث، فأخـذ جـرّة الخـزف، وكانـت فارغـة، غـير أنّ اسـم اللّـه تعـالى، مخطـوط في قعرها.

ثمّ سأل الملك، رجال حاشيته، أيّة جرّة، يعدّونها أثمن الكلّ؟

أجاب الطمّاعون: جرّة الذّهب.

والمشغوفون بالشّهرة: جرّة الفضّة.

أمّـا الأتقيـاء، فقـالوا: جـرّة الخـزف، ولـو فارغـة، لأنّ حرفـا واحـدا مـن اسـم اللّـه، أثمـن من كلّ خيرات الأرض.

لهـذا! كـم يجـب علينـا أن نطبـع، ذلـك الاسـم الجليـل، علـى كـلّ أعمالنـا، بالنيّـة الصّالحة!

كثيرون يقولون: إنّ اللّه خليقة مثلنا، من العدم وللعدم، أو يقولون: أنا لم أسرق، رويدك يا هذا! لقد أتممت هذه الوصيّة، لا تلك.

أيّها الاخوة! خلق اللّه الكلّي القدرة، هذا العالم، ولو أراد لخلق مائة عالم، مثل هذا العالم وأجمل، انّه المتلألئ بالجبروت والعظمة، وسلطانه يمتدّ، إلى كلّ البرايا،

إذا تجب العبادة فقط، للربّ الواحد دون غيره، وهذه العبادة تقوم بالعبادة الباطنيّة من النّفس، وبالعبادة الجسديّة من الجسد، لأنّ كلي النفس والجسد، معا خلقهما اللّه ومعا أوجدهما.

بم يشترك الجسد، بالعبادة للربّ؟ بالانحناء الكلّي، أمام عظمة الربّ، وهنا يتساءل البعض، لم هذا الرّكوع؟ تكفي عبادته في قلبنا كلاّ يا صاح! ليس هذا من المنطق والصّواب، فكما خلق اللّه النّفس لتناجيه بعواطفها وميولها، هكذا أبدع الجسد، ليكرّمه بالانحناء أمام عظمته، أمّا ذلك المتجبّر المتغطرس، على ربّه ومبدعه فقلبه قاع صف صف، ينعق فيه البوم.

عندما نستقبل وجه الرّبيع الزّاهي، ونرى الطّيور المزقزقة، والأعشاب الخضراء، والأوراق النّضرة، ورأينا بعد ذاك، إحدى الأوراق مجرّدة، ما عسانا أن نحكم عليها؟ هي يابسة، هي ميتة، هكذا نحكم، على ذلك الذي طلّق الكنيسة، هو غبي وجاهل، لا يعرف أمر خلاصه...

لنتشبّه بالفتى ليّولا، هذا كان في إنطاكية، وقد تفوّق على أقرانه في العالم، قيل له عندما استحضر، أأنت مسيحي؟ نعم، أليس الأفضل أن تعبد آلهة كثيرة؟ فأجاب ليس من اله، غير اللّه الواحد، فأمر الوالي بإحضار والدته، وتساقطت عليه الضّربات، وآلات الجلد، حتّى خضّبت وجهه بالدمّ، فصرخ الولد إذ ذاك، أنا عطشان، يا أمّي.. أجابته: ستصل يا ولدي إلى الينبوع، تشجّع واصبر، وهكذا أمر الحاكم بقتله، على مرأى من والدته.

لنتّعظ بهذا الفتى، ولنعلم بأنّ حفظ الوصايا، نجاّه من الرّضوخ للوالي ولنسر على منواله، واضعين نصب أعيننا الوصايا:

وصايا اللّه، التي تنفخ في العالم، نسمة الحياة.

وصايا اللّه، التي تقي النّفس والأخلاق، من الموت الرّوحي،.

وصايا اللّه، التي ترجع للعائلة، مقامها العالي، وتعيد للفرد، راحة القلب والضّمير.

وصايا اللّه، التي تجلب للعالم، السّلام المفقود، والبركات المنشودة، التي بها وحدها، نرجع إلى اللّه، نقطة الدّائرة في حياتنا، الذي كلّ به كوّن، وبدونه لم يكوّن شيء، ممّا كوّن، ولنتمثّل بقول السيّد المسيح للشابّ: " إذا شئت دخول الحياة، فاحفظ الوصايا.

الموضـــــوع الثّالـــــث ليـــــوم الأربعـــــاء، مـــــن أســـــبوع الآلام:
"أهرب من الخطيئة، هربك من الحيّة."

قـال بـولس الرّسـول، في رسـالته إلى أهـل رومـا:" ذلـك بـأنّ جميـع النّـاس قـد خطئـوا فحرموا مجد اللّه، ولكنّهم برّروا مجّانا بنعمة المسيح الذي كفّر عنّا بدمه."

صـلاة الافتتـاح: لا تـدخلنا يـا ربّ في امتحـان التّجـارب، هـب لنـا نعمـة التّسـامح والمصـالحة مـع ذواتنـا ومـع القريـب ومعـك، لنعـيش سـرّ تجسّـدك مـن خـلال الأوخارستيّا، أطهارا بعيدين عن الخطيئة، فنجدّد هويّتنا المتأصّلة في الإنجيل. آمين.

مشـكلة الإنسـان اليـوم، كمـا في الأمـس، روحيـةّ جذريّـة أصـليّة، تعـود بنـا إلى سـفر التّكـوين، يـوم انتهـز إبلـيس الفرصـة وأوقـع أبوينـا آدم وحـوّاء في حبائلـه، وأغراهمـا بالأكـل مـن شـجرة معرفـة الخـير والشـرّ، فكانـت هـذه أوّل خطيئـة بشـريّة ضـدّ وصـيّة اللّه.

وهنـا سـؤال يطـرح نفسـه، لم أوقـع اللّـه الإنسـان في هـذه التّجربـة مسـبقا مـا دام يعلـم سـلفا بضـعفه؟ ولكـن مهـلا! أولا تعلـم أيّـة حكومـة زمنيّـة أنّـه سـيكون هنـاك مـذنبون ومجرمـون، فلـم إذا سـنّت شـرائعها وأوجـدت قوانينهـا؟ السـبب هـو أنّ الإنسـان لا يمكن أن يبرهن عن ولائه إلاّ في حين وجود قانون ما للتقيّد به وطاعته. .

لئن كنّا من ذرّيّة أبوينا، ومدموغين بالخطيئة الأصليّة ونتائجها، فسنحاسب فقط عن الخطايا التي نقترفها نحن بمحض إرادتنا.

قال اللّه لآدم يوم أخطأ: موتا تموت. فالخطيئة إذا تفصل الإنسان عن اللّه روحيّا وتهلكه في جهنّم.

قال ابن سيراخ: " يا بنيّ إن خطئت فلا تزد، بل استغفر عمّا سلفت من الخطأ، أهرب من الخطيئة هربك من الحيّة."

وقف لصّ، قاطع طريق بالمرصاد، وراء شجر ملتفّ، في انتظار تاجر غني على وشك المرور في طريق قريب؛ حين ظهر التّاجر، ركع السّارق على العشب اليابس وصوّب بندقيّته إليه، فضغطت ساقه حيّة انتصبت فورا وعضّته، فأخطأ المرمى وصاح صيحة هائلة؛ من فرط ألمه أسرع إليه التّاجر، فقال له اللّص متنهّدا، ويحي فقد ردّ كيدي الى نحري وها أنا أموت في الدّقيقة التي قصدت فيها قتلك، انّه العقاب الإلهي العادل لجريمتي.

الخطيئة هي نكران جميل وفظاعة واحتقار وهدم وعصيان، لنعمة وصداقة اله قدير خالق ومخلّص وعروس أنفسنا، فكأنّنا بها نرفع يدا أثيمة نلطم بها وجهه تعالى، مجدّفين على الرّوح القدس، وصائرين أبناء للشّيطان، لنخف هنا! فيوم يهملنا اللّه

بدقيقة واحدة نموت ونهلك، لأنّه قد سقط في جهنّم ألوف في ألوف من الملائكة، لأجل خطيئة واحدة وردت بالفكر.

كلّ مرّة نقسّي بها قلوبنا فلا نسمع لضميرنا، ولا لوصايا اللّه والكنيسة ونعجز عن الصّمود أمام الشرّ والخطيئة، مكثّفين حولنا غيوم الشّهوات تعمي بصائرنا، نسقط ويكون سقوطنا عظيما.

الخطيئة هي زنى، هي مخالفة عهد اللّه، ومقترف الخطيئة،كالمرأة التي تخون زوجها وتسعى وراء عشّاقها وتزني؛ الخطيئة هي قطع عهد المحبّة بين اللّه والإنسان؛ هي اغتصاب واعتداء على الثّالوث الأقدس، ومن نتائجها خيبة الأمل والخوف من اللّه والتألّم من الشّعور بالإثم؛ بالخطيئة تتزعزع العلاقة الأخويّة فيقوم الأخ على أخيه ويقتله، كما جرى بين قايين وهابيل، وتتصدّع أسس العيلة الاجتماعيّة كما في بابل حيث تبلبلت الألسنة، وعندئذ نذبل ونجفّ ونموت.

الخاطئ في نظر المسيح هو من ينصرف إلى شؤون الحياة، وأعمالها وملذّاتها، ويعتذر عن الوليمة لأنّه يريد أن يتفقّد الأرض ويجرّب فدادين البقر كما ورد في الأمثال، هو من يبني حياته بدون اللّه كالابن الشّاطر، يطلب نصيبه من الميراث ويودّع أباه الذي ملّ الحياة معه ويذهب بعيدا طالبا الحرّيّة والحياة المجنونة ، الخاطئ هو من رفض أخاه لعازر الذي كان يشتهي الفتاة المتساقط عن موائده، الخاطئ هو من يدرك أنّ ما يخرج من قلبه ينجّسه، لأنّ من الدّاخل تأتي الأفكار السّيّئة:

الـزّنى والسّـرقة والقتـل والطّمـع والخبـث والخلاعـة والكبريـاء والجنـون، الكفـر عـدم إكـرام الوالــدين الحســد التعــدّي البخــل الــدّعارة الغضــب الكســل في تتمــيم الواجبــات، الخاطئ باختصار هو من يرفض الحبّ ويجعل ذاته إلها محلّ اللّه.

سـنة 390ق. م. أنقـذ القنصـل الرّومـاني مـانيليوس حصـن رومـا القـديم المعـروف باسـم كـابيتول مـن حصـار الغـاليّين، فـأحرز أعلـى درجـات المجـد بـين رجـالات بـلاده وسمّـوه أبـا الـوطن، ثمّ طمـح الى مقـام ملـك علـيهم، فحـوكم علـى تلـك الجريمـة ومثـل أمـام مجلـس الشّـيوخ، فكشـف صـدره المغطّـى بنـدوب الجـروح الـتي أصـابته أثنـاء معـارك البطولـة الـتي خاضـها في الـدّفاع عـن رومـا، وصـاح بأعضـاء المجلـس:" أبـذنب واحـد تمحـى كـلّ خـدمتي للـوطن؛ لم يشـفقوا عليـه، بـل حكمـوا بـأن يرمـى مـن أعلـى الصّخور الشّامخة، فمات ذليلا.
والخـاطي الشّـقي، إذا احتمـل آلام الأمـراض ثمـاني وثلاثـين سـنة، كالقدّيسـة ليـدونيا، والاستشهاد ثمانية وعشرين عاما، مثل القدّيس اكليمنضس الأنقري،
وعشت ستّين سنة فوق عامود، كالقدّيس سمعان العامودي،

وحضـرت القـدّاس كـلّ يـوم خمسـين عامـا، وكـان طـول كـلّ قـدّاس أربـع سـاعات، كمـا حـدث في حيـاة القـدّيس فيليـب نـيري، فـانّ جميـع تلـك المـآثر، يـزول اسـتحقاقها فورا، بخطيئة مميتة واحدة.

إن لم نكن بحال الخطيئة، فنحن في خطر السّقوط فيها، لأنّ احتداد تجربة تعرض لنا أو مصيبة تفاجئنا، يمكن أن تجعلنا نخطئ، لكون الملاك أخطأ في السّماء، وآدم في الفردوس، أخطأ بطرس ويوضاس في مدرسة يسوع المسيح، فمن ملاك وقدّيس ورسول يمكننا بدقيقة واحدة أن نكون شياطين.

فلنخف من عدل اللّه وانتقامه، فإذا كنّا لا نقترف الخطيئة لأجل اللّه المستحقّ كلّ كرامة ومحبّة، أقلّه يجب أن لا نقترفها خوفا من القصاصات المترتّبة عليها، ولربّما لا نعطى مهلة للتّوبة، فلنذكر الطوفان وحرق صادوم وعامورة وموت يوضاس وطرد آدم من الفردوس وامرأة لوط وضربتي أنطيوخوس وهيرودس، فلعلّه أيضا لا يشفق علينا إذ لا يحابي بالوجوه، وبهذا المعنى قال بولس الرّسول:" إن عشتم بحسب الجسد فسوف تموتون".
إذا نحن انفصلنا عن خالقنا وفادينا ورفيق الطّريق ومنبع سعادتنا الحقيقيّة، أصبحنا كالغصن المفصول عن الشّجرة، التي قطعت وألقيت في النّار لتحترق، أو كركّاب سفينة يقتلون قبطانها، فدربنا مع اللّه درب الى النّعيم، ودربنا ضدّ اللّه درب الى الجحيم.

اخوتي: الثّمرة التي تنضجها الشّمس، خير من الثّمرة الموضّبة، ومتى كانت لذّة العيش فقط في الملذّات الجسديّة؟ لأنّ الإنسان روح وجسد، فكما أنّه لا يجوز للرّوح أن تقتل الجسد، لا يجوز للجسد أن يقتل الرّوح، قال الربّ يسوع:"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

فبخضـمّ العـادات والتّقاليـد الجديـدة المنحرفـة، بالشّـلل الاجتمـاعي المصـابين فيـه، بالأمراض والانحرافات الأخلاقيّة الطّاغية على مجتمعاتنا، سلاحنا ضدّ الخطيئة:

صـمود العائلـة اللّبنانيّـة، بعاداتهـا الشّـريفة وتقاليـدها المتّزنـة، بـالاحترام، بالتّفاعـل بـين الأفراد، باحتضان الطّفل، والمريض، والعجوز، واحترام الحياة.

بحنـان الأمّ، ونظافـة بيتهـا، وصـلاتها؛ بسـهر الأب، ورجولتـه الـتي تحمـي العائلـة؛ باحترام الأولاد لوالديهم، وتحرّرهم التّدريجي، وبنيان شخصيّتهم.

إذ تجتـاح عقائـد العصـر عقليّـة شـبابنا وقلـوبهم، وإذ راحـوا يضـحّون في سـبيل الأحـزاب والعقائـد العالميّـة المسـتوردة بحيـاتهم، نكـاد نخسـر لبنـان، الـذي بـذل أهلـوه على مدى العصور أرواحهم في سبيل حرّيته وكيانه.

مـتى نـدرك أنّ سـلاحنا الأقـوى: ثقافتنـا، روحانيّتنـا، يسـوع، شـفاعة العـذراء، الضّمير، الأخلاق.

وبمـا أنّ اللّـه علـى كـلّ شـيء قـدير، هـو يقـدر أن يقـتصّ منّـا، بفقـد الصـحّة والأرزاق والوظيفة والأقارب والحياة وموت الفجأة، ومع ذلك نخطىء وننام مطمئنّين.

ربّما قال قائل منّا : "إنّ خطيئة أكثر أو خطيئة أقلّ ليس بذات أهمّيّة" فهل يهمّنا إذا قصاص أقلّ أو قصاص أعظم؟

حتّى إذا كانت أعمالنا كلّها ناجحة حسب مرادنا، فهذا قصاص مخيف، لأنّنا على هذا الأسلوب نثبت في حياتنا الرّديئة، ونزيد خطايا على خطايا، وحطبا على حطب للاحتراق في جهنّم، والطّامة الكبرى إذا عدمنا لدغ الضّمير وخوف اللّه.

اخوتي! لتكن مقاصدنا، الموت ولا الخطيئة المميتة، إنّنا نريد بنعمتك يا الله، أن نحافظ بكلّ قوانا على حالة النّعمة، فنذهب الآن، في هذه الحياة الى جهنّم، لكي لا نذهب إليها بعد الموت. آمين.

العظة الرّابعة ليوم الخميس من أسبوع الآلام.

الموضوع:" جسدي مأكل حقّا ودمي مشرب حقّا."

صلاة الافتتاح: ربّي بقدر ما يزداد التّناول انتشارا في العالم، تزداد تجلّيا نعمتك ومحبّتك لنا، فشكرا لك يا يسوع الصّالح، الرّاعي الأزلي، وقد ارتضيت أن تغذّينا بجسدك ودمك الكريمين، نحن البائسين المنفيّين، وأن تدعونا أنت نفسك بكلام فمك، الى تناول الأسرار، قائلا:" تعالوا اليّ، يا جميع المتعبين والمثقّلين ، وأنا أريحكم."

الأوخارستيّا قطب القلوب، هي كلّ الدّين المسيحي، لأنّها الرّابطة الشّديدة، بين اللّه والنّاس.
حبّ اللّه حمل قدرته على اختراع جديد، هو إيجاد لاهوته وناسوته تحت أعراض الخبز والخمر، لا في مكان واحد، بل في أمكنة عديدة على وجه الأرض، ولا الى زمان قصير، بل الى انقضاء العالم، ولا لأشخاص قلائل بل الى كلّ مسيحي!

كان ضروريّا إذا هذا الاختراع العجيب، الذي اخترعه الحبّ الإلهي، لكي لا ينساه النّاس، فلو لم يترك لنا، سوى بيت لحم والجلجلة، لطمسنا ذكره سريعا ونسينا إحسانه العظم، ولكن حضوره الحيّ بيننا في القربان، لا يزال يرسل الأنوار

والقـوّة والحيـاة، الى كـلّ أبنـاء الكنيسـة المقدّسـة، ويـنعش فـيهم روح الإيمـان والرّجـاء والمحبذة.

في المسـيحي، حيـاة الجسـد وحيـاة الـنّفس، حيـاة الطّبيعـة وحيـاة النّعمـة، لتلـك خبـز أرضـي، ولهـذه خبـز سمـاوي، إذ لابـدّ لكـلّ مـن الجـانبين، مـن غـذاء يجـدّد ويحصّـن؛ ومـا هـو الخبـز السّـماوي هنـا، لحيـاة الـنّفس والنّعمـة، غـير جسـد ابـن اللّـه ودمـه:" جسدي مأكل حقّا ودمي مشرب حقّا."

لسرّ الأوخارستيّا أو القربان، ثلاث غايات:

الغايـة الأولى: هـي ذكـر آلامـه وموتـه:" اصـنعوا هـذا لـذكري." وقـد كتـب بـولس الرّسـول لأهـل كـورنتس:" إنّكـم كلّمـا أكلـتم مـن هـذا الخبـز، وشـربتم مـن هـذه الكأس، تخبرون بموت الربّ، الى أن يأتي."

الغايـة الثّانيـة: كـون سـرّ الأوخارسـتيّا أو القربـان، قـوت النّفـوس؛ فيمـا التّـذكارات البشـريّة، مـن صـورة وكتـاب أو تحـف فنّيّـة: كالتّمثـال، مهمـا كانـت محبوبـة، نـدنيها مـن أفواهنـا، ونضـمّها الى صـدورنا؛ أمّـا مخلّصـنا، فنتناولـه ونجتـاز بـه هـذا العـالم، لأنّـه حمل اللّه الحامل لهذا العالم.

الغاية الثّالثة: أن يكون ذبيحة دائمة، وهنا تظهر محبّة اللّه بأجلى تعبير، وهو أنّه بذل ذاته لا مرّة واحدة، بل هو يبذلها، كلّ يوم، وفي كلّ مكان، عن الأصدقاء والأعداء.
لهذا كانت الذّبيحة أكبر محرّك، لإنعاش الرّجاء، بقلوب المؤمنين.

في ذبيحة القدّاس تتجدّد ذبيحة الصّليب ذاته، لكن بشكل غير دموي، على أيدي كهنة العهد الجديد؛ لأجل تقديم السّجود والشّكر للآب السّماوي، ولأجل طلب النّعم والمغفرة، للأحياء والأموات وللأبرار والخطاة، حتّى ولأعداء اللّه والكنيسة، قال يسوع: "ليس مرضاتي بموت المنافق، بل أن يتوب عن طريقه ويحيا."

الأوخارستيّا، حقيقة من حقائق الإيمان، سرّ من أسرار البيعة، فإذا شكّ ضعاف الإيمان بها، أو الملحدون والكفرة، فقد شكّ قبلا اليهود بها، إذ قالوا: كيف يمكن هذا... لا بل التّلاميذ شكّوا قائلين: ما أصعب هذه الكلمة؛ وقد عرف يسوع، أنّ تلاميذه يتذمّرون فقال:" أهذا يشكّككم؟ فكيف إذا رأيتم ابن البشر، يصعد الى حيث كان أوّلا."
هنا ندرك، كم يجب أن نستعدّ، حتّى نستحقّ مناولة جسد الربّ ودمه، فإذا كان نوح، الرّجل الصدّيق، قد اشتغل مائة سنة، في صنع سفينته، ليخلص بها مع نفر قليلين، فكيف نتناوله نحن، بأقلّ من ساعة في القدّاس؟

إنّ الـذي لكلمـة مـن فيـه، العـرج يمشـون، الصـمّ يسـمعون، العميـان يبصـرون، الـبكم يتكلّمون.

مـن قـال للبحـر:" اسـكن فسـكن، مـن أقـام لعـازر مـن القـبر، مـن نفـض غبـار المـوت عـن عينيـه، مـن قـام مـن القـبر ممجّـدا، مـن صـعد الى السّـماء، أمـام جمـع غفـير، مـن مـدّن العـالم بتعاليمـه، ومثلـه الصّـالح، مـن أمكنـه القـول:" مـن مـنكم يـوبّخني علـى خطيئة؟، هو نفسه من قال:" هذا هو جسدي، هذا هو دمي."
في كلّ يوم، لا سيّما اليوم الذي فيه رسم يسوع سرّ الذّبيحة؛

يـدعونا يسـوع لتناولـه في سـرّ محبّتـه، بمحبّـة وطهـارة وتوبـة وتسـامح، قـائلا لكـلّ واحـد منّا
"يا بنيّ أعطني قلبك."
يدعونا لفصحه المجيد، وفصح المسيحي، الاعتراف؛

فـإذا كـان داود النّـبي، رقـص قـدّام تـابوت العهـد، ولحّـن وغـنّى ورتّـل المـزامير، ذاكـرا حسنات اللّه على آبائه؛

وإذا كنّا نزور رفات القدّيسين، الملفوفة بالحرير والذّهب، ونكرّمها بصلاة ودموع
وإذا كـان الألمـان الجنـود، شـغفوا بـزعيمهم هتلـر الطّاغيـة، فكـانوا وهـم صـرعى يهتفون: يحي هتلر ؛

والعبيد ما بعد تحريرهم، في الحرب الأهليّة للولايات المتّحدة، كانوا ينشدون: الى الأمام فانّ روح براون تنادينا."

فبأيّ تهيّب واحترام وشكر، بل أيّ حمد دائم، يحقّ علينا لالهنا ومخلّصنا، بتناولنا جسده الأقدس، هو الذي لا يستطيع بشر أن يوضح سرّ منزلته، ولو كانت له طهارة الملائكة، أو برّ القدّيس يوحنّا المعمدان.

فلنتّكل على القربان الأقدس، في تجاربنا وضيقاتنا، لئلاّ تميل حواسّنا الى الشرّ، فبالقربان الأقدس، تتجدّد وتتنقّى نفوسنا، ونثبت في الخير، هاتفين في كلّ حين: الى الأمام! فانّ القربان الأقدس ينادين. آمين. ا

العظة الخامسة، في يوم الجمعة من أسبوع الآلام، للرّياضة الثّانية.

صلاة الافتتاح: يا صليب الخلاص، فيك الحياة، والحماية من الأعداء، وفيضان العذوبة العلويّة، وقوّة النّفس، وفرح الرّوح، وتمام الفضيلة، وكمال القداسة، ارتض أن نجيء إليك ونسكن فيك، فنحن سيّاح غرباء ولن نحصل أبدا على الرّاحة، ما لم نتّحد بك، ففي جراحك المقدّسة، تطيب السّكنى. آمين.

"احمل صليبك واتبعني."

هذا ما قاله السيّد المسيح، وقد عقّب على ذلك، مار بولس بقوله:" انّ الصّليب عند الهالكين جهالة، أمّ عندنا نحن الأحياء، فهو قوّة اللّه."

اخوتي! صليب المسيح خشبة الخلاص، واشارة الصّليب، شعار المسيحي، لا بل مختصر إيمانه، وفي هذه الاشارة الشّعار، ثلاثة أسرار: سر الثّالوث الأقدس وسرّ التجسّد وسرّ الفداء.

الحياة كلّها درب صليب، وجهاد مستمرّ، فالمسؤوليّة والفقر والخطيئة والوجع والحزن والخسارة والإحباط والمرض والعاهة والحوادث والحروب والهجرة والتّهجير والفشل والكوارث الطّبيعيّة والاضطّرابات وفراق وموت الأهل والأقارب والأصدقاء، كلّ هذا درب صليب.

فلو صعدنا الى أعلى السّماوات، أو نزلنا الى أسفل دركات الجحيم، لن نهرب من الصّليب، الخارجي والدّاخلي، فإذا شئنا أن يكون نصيبنا، نصيب المسيح، علينا أن نتحلّى بنعمة الصّبر، الذي هو خير من الكفر والتذمّر، أن نقع هذا أمر طبيعي، أمّ أن نيأس عائليّا وأخلاقيّا ومهنيّا ووطنيّا، فهذا هروب من أقدس واجب، حمّلنا إيّاه الربّ.

فالمسيح وقع مرارا تحت عبء الصّليب، ولم يرزح بل كان ينهض ويتابع المسيرة.

جاءوا بامرأة رومانيّة، بقاتل ولدها الوحيد، قائلين: اقتليه بيدك انتقاما لدم ابنك، فقالت لهم: خذوه أنتم واقتلوه، علّي إذا رأيته أنا، أشفق عليه.

لم يشفق أحد على المسيح، قال بيلاطوس بعد غسل يديه: أنا بريء من دم هذا الصّدّيق، وإذ أمر بجلده على عامود بالسّياط، وأراه للشّعب جرحا واحدا، علّهم يشفقون عليه، أجابوا: ليصلب، دمه علينا وعلى أولادنا.

صدر عليه الحكم من أصدقاء، استقبلوه هم أنفسهم بالأمس بشوارع أورشليم، حاملين سعف النّخل والزّيتون، هاتفين: مبارك الآتي باسم الربّ.

أيّام الثّورة الشّيوعيّة، 1917 تقدّم رجل من إحدى المحاكم، لينفى أو يعدم، وسرعان ما رأى أخاه يحاكمه، تغلّبت هنا طبعا العاطفة الأخويّة، وبرّأ الأخ أخاه.
مع المسيح جفّت المحبّة الأخويّة والعاطفة الإنسانية.

باعه يهوذا الذي أكل خبزه وشرب كأس دمه في العشاء السرّي، ثمّ أكل معه بالصّحفة.
تركه رسله وهم من شاهدوا عجائبه، وتلقّوا تعاليمه، وعاشوا معه ثلاث سنوات يعملون على نشر البشارة السّارّة.

بطـرس رأس الكنيسـة، أنكـر المسـيح بعـدما خـاف مـن جاريـة، " أنـا لا أعـرف هـذا الرّجل" وبدأ يحلف ويلعن.

أذاقــوا ربّ الأربــاب، آلام الكرامــة والــنّفس والجســد، فهيّجــوا عليــه الكهنــة رمــز القداسـة، والكتبـة رمـز المعرفـة الدّينيّـة، والشّـيوخ رمـز الحكمـة، الـه المجـد يحاكمـه إنســان، في محكمــة مدنيّــة، ودينيّــة، متّهمــا بالتّجــديف والمشــاغبة والتّحــريض علــى الثّورة، محكمة لا تمييز فيها ولا استئناف.
هيرودس الابن، من قطع رأس يوحنّا المعمدان، ألبس المسيح قميص المجرمين.
صفع من عبد رئيس الكهنة، وألبس أرجوان الملك، واقترعوا على قميصه،
خمّنوه بثلاثين من الفضّة،
تبدّد الرّسل خوفا كالخراف، بعدما جلد وربط بالسّلاسل،
سـلّمه يوضـاس كلـصّ، وقرّعـه لـصّ الشّـمال، وفضّـلوا عليـه اللـصّ المجـرم برأبّـا، بـدل تبرئته.

بينمـا أعلـن براءتـه بيلاطـوس بقولـه: لا أرى علّـة علـى هـذا الرّجـل، وهـيرودس ردّه لبيلاطـوس، وقـال اللـصّ اليمـين: أمّـا هـذا فلـم يصـنع شـيئا، وقائـد المائـة: حقّـا كـان هذا الرّجل صالحا، ويوضاس أخطأت إذ أسلمت دما ذكيّا.

إبّان الثّورة الفرنسيّة، قبل إعدام الملك لويس السّادس عشر، قال له معرّفه: مولاي! قبلك ملك الملوك أسلم للصّلب، ولم يفتح فاه، أجاب: لتكن آلامي رمزا لآلامه.

ليس اللّه بظالم حتّى يعذّبنا بالألم، سرّ الألم هو جزاء الخطيئة، ونتيجة حتميّة لمخالفة وصايا الخالق، الألم هو خبزنا اليومي، وقد جاء المسيح، لا ليفسّر لنا الألم ولا ليمنعه ويلاشيه، بل ليقدّسه بحضوره وآلامه، فعندما يتألّم المتألّمون، وينظرون الى المسيح المدمّى من قمّة الرّأس حتّى موطئ القدمين، المسيح المصلوب على عود العار، ويهتفون: مع آلامك يا يسوع، ينسون آلامهم ويتعزّون، فلو لم يتألّم المسيح، لما كان معنى للألم.

تألّم المسيح بسبب خطايا الأجيال البشريّة التي ستأتي، والتي هي بحاجة للتكفير والافتداء، وبسبب الحاضرين الذين طالبوا بصلبه وموته، وآلامه عظمى مآسي التّاريخ، لحدّتها وأنواعها، لأنّها تجمع كلّ آلام البشر.

ورثنا نحن الخطيئة الأصليّة، بعد خطيئة أبوينا الأوّلين، وأصبحنا بعامل الوراثة، عرضة للخطيئة والعذاب والألم والموت، فمات المسيح عنّا، ليكفّر عن خطايانا، مزّقت قلبه الآلام، وسحقت نفسه الأوجاع، وقبل أن يراق دمه، فدى الجنس البشري.

عندما التقى المسيح أمّه الحزينة، تلاقى الدمّ والدّمع، فامتزج دم المسيح لفداء العالم، ودموع العذراء، للمشاركة في الفداء.

علينا نحن أن نمزج دموعنا، بدم المسيح، لئلاّ تذهب سدى، ونقول : مع آلامك يا يسوع.

وجه المسيح المشوّه، الكئيب الحزين، مخبّأ وراء وجوه: الفقراء، العجزة، المرضى المنكوبين، المعاقين، اليتامى، المظلومين، المشرّدين، المحبوسين، هلاّ مسحنا وجوههم بمنديل الرّحمة والخدمة!

القدّيسة رفقا تعذّبت، أكثر من أيّ إنسان عادي أن يتعذّب، هي التي تفكّكت كلّ مفاصلها، وما تذمّرت، بل كانت تقول دائما: شكرا لك يا ربّ، زدني ألما من فضلك، وجودك فيّ زادني قوّة، لا أزال أحمل، هات!

اخوتي ! إذا قبلنا العذاب والألم والموت، بإيمان وفرح، نخلص ونخلّص العالم.
إذا شئنا أن نملك مع المسيح، فلنحمل الصّليب معه.
إذا حملنا الصّليب عن طاعة وقناعة، يحملنا الصّليب.

إذا رمينا صليب أيّوب، وجدنا صليبا آخر، قد يكون أثقل، فمن من القدّيسين خلا في حياته من صليب ومضائق؟ ولا المسيح خلا ساعة واحدة في حياته، من الآلام والمعاناة.

وهذا مار بولس، يقول لأهل كورنتس، بهذا المعنى: نجوع نعطش نعرى نلطم نشرّد نعمل بأيدينا، صرنا شبه أقذار، ونفاية النّاس.

إذا بإيمان وفرح، يجب أن نحمل الصّليب، كما حمله الشّهداء الأبطال والقدّيسون، أمثال: مار مارون، والقدّيس شربل، والقدّيسة رفقا، والطّوباوي الحرديني، والرّسل والأباء والأنبياء والقدّيسين، فيسوع ما وقف، في بستان الزّيتون أو على الجلجلة، بل كمّل المشوار، ليوم الأحد، أحد القيامة، وما يعزّي في عصرنا، بعد ألفي سنة لمجيئه، هو أنّه يملك على أكثر العالم، فأنّى توجّهنا، وتحت كلّ شمس، هناك صليبه وكنائسه وشعبه.

في العالم اليوم اضطّرابات، كفر، انحراف عن مبادئ الدّين والأخلاق، لكن لا نتشاءم كثيرا، فحيث تكثر الخطايا، تكثر النّعمة، فهناك شرعة حقوق الإنسان، المنظّمات والجمعيّات الدّينيّة والأخويّات، ورسل يبشّرون في كلّ العالم.

أخيرا! يا ربّ إذا تذمّرنا من حمل صليبك، لضعف جبلتنا، فأنت العزاء والرّجاء، فبالصّليب نتقرّب منك، ونتوب إليك، ونفهم عليك، ونفرح معك، ونحتمل بصبر أيّوب آلامنا، ونمزجها مع آلامك، ويا من خلّصت العالم، وقدّست آلام البشر

بصـــليبك، واســـتحققت القيامـــة، اجعلنـــا إذا حملنـــا الصّـــليب وراءك، نـــنعم مثلـــك بالقيامة، فنقوم وينهض لبنان معنا. آمين.

الموضوع السّادس يوم سبت الآلام، للرّياضة الثّانية.

"ما جئت لأدعو الأبرار، بل الخطاة الى التّوبة."

صلاة الافتتاح: يا ربّ! لا تؤدّبنا بسخطك، ارحمنا كعظيم رحمتك، فإنّنا مرضى، اغفر معاصينا، ها نحن تائبون إليك، فلا تعاملنا بحسب كثرة خطايانا، ولا تتركنا، كلّنا زكّا العشّار والمجدليّة وبطرس، أنعم علينا بالغفران، يا اله الرّحمة. آمين.

مهما قويت الخطيئة، علينا أن نتخطاّها بالغفران، سواء ندمنا أم استمرّينا بالخطأ
أما انحنى يسوع على الخاطي بمحبّة عظمى، فغفر له؟
بعدما قتل قايين أخاه هابيل، قال للربّ:" ذنبي أعظم من أن يغفر...
وفي مثل ملكوت السّماوات، أما أورد لنا المسيح، مثل الملك، الذي أراد أن يحاسب عبيده، فترك لأحدهم دينا كثيرا، بينما رفض هذا أن يسامح أخاه بالقليل، فرذله وشهّر به..

ولما كثر شرّ النّاس زمن نوح البارّ، أتى الربّ بالطّوفان، ولولا سفينة نوح، لما حيي بشر، وبعد هذا أشفق علينا، فكانت علامة قوس القزح.

فهم رسول الأمم هذه الحقيقة، فقال:" لا تدع الشرّ يقهرك، بل كن بالخير للشرّ قاهرا.

من هنا يجب أن نسعى الى ما سعى إليه يسوع، لأنّنا شهوده وخدّام إنجيله، ونعمل عمل خلاصنا بخوف ورعدة، ولو كان لنا إيمان ضعيف، ورجاء قصير، أو لم نكن على مستوى النّعمة التي أعطيت لنا مجّانا.

نحن في كلّ ثانية، محتاجون، لا الى تعليم فقط، بل الى خلاص، الى رحمة الله الرّحمة الذي جاء لخلاصنا، طالبا الخروف الضّالّ، بعد تركه ل 99 حتّى إذا وجده يفرح.

غفر يسوع على الصّليب لصا لبيه:" اغفر لهم يا أبتاه."
غفر للصّ اليمين:" الحقّ أقول لك، اللّيلة تكون معي في الفردوس."
غفر للمجدليّة الخاطئة، بعدما غسّلت بدموع التّوبة رجليه، ومسحتهما بشعر رأسها، وانتهر طالبي إدانتها، قائلا لهم:" من منكم بلا خطيئة، فليرجمها بحجر، ثمّ قال لها:" اذهبي ولا تعودي تخطئين."

غفر للمشلول المخلّع في كفرناحوم، بعدما أنزلوه من السّقف، مكبرا هذا الايمان.
تخطّى يسوع، شريعة موسى قائلا:" قيل للأوّلين :" أحبب قريبك، وابغض عدوّك." أمّا أنا فأقول لكم :" أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، صلّوا على من يضطّهدكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السّماوات."

حـذّرنا يسـوع مـن خبـث الفرّيسـيّين وكبريـائهم وقسـوة قلـوبهم، ومـن العمـل بشـريعة موسـى، بـل أوجـب علينـا العمـل بفضـائل الرّحمـة والعـدل والغفـران، تشـبّها برحمـة اللّـه ومحبّتـه اللاّمتناهيـة، هنـا أعطـى كنيسـته سـرّ التّوبـة حـتّى بـدورها، تغفـر نظـيره الخطايـا للخطاة التّائبين عبر المكان والزّمان، وتنشر رحمة اللّه بدون توقّف.

قـال يسـوع:" أريـد رحمـة لا ذبيحـة، خـذوا الـرّوح القـدس، مـن غفـرتم خطايـاه غفـرت، ومن أمسكتموها عليه مسكت، ما جئت لأدعو الأبرار الى التّوبة، بل الخطاة."

إذا تصـفّحنا تـاريخ الشّـعب اليهـودي، مـا قبـل موسـى، نقـرأ مـا يلـي:" إذا قتـل أحـدهم آخـر، يقتـل ذوو المقتـول، بـدلا مـن الواحـد عشـرة مـن ذوي القاتـل، ولمـا جاءت شريعة موسى، قصرت الثّار للدمّ بواحد:" السنّ بالسنّ والعين بالعين."

ولمـا جـاء يسـوع، بـنى كنيسـة لا دنـس فيهـا ولا عيـب، كنيسـة المحبّـة، شـعبا واحـدا، مخلوقـا علـى صـورة اللّـه ومثالـه، مشـبعا مـن تعـاليم الرّحمـة والتّسـامح والغفـران، مـردّدا بتـواتر في صـلاته الربانيّـة:" اغفـر لنـا ذنوبنـا وخطايانـا، كمـا نحـن نغفـر لمـن أخطـأ وأساء إلينا." ارحمني يا أللّه، كعظيم رحمتك، وكمثل كثرة رأفتك، امح خطاياي."

عصـفت بلبنـان الحـرب، علـى مـدى عشـرين عامـا: آلام ودمـوع وقتـل وتشـنيع وتهـديم وخـراب وتهجـير وتشـريد، ورغـم هـذا كلّـه، لا يـزال بيننـا مـن يـرفض الحقـد وطلـب الثّار، لأنّ الحقد غريب عن إيماننا، واللّه وحده هو المنتقم."

قالوا الحرب اللبنانيّة مقدّسة، بدليل أنّها في بعض جوانبها دفاع عن النّفس، وعن الايمان، ولكن لو تنبّه اللبنانيّون مسبقا، واستوحوا على مختلف عقائدهم، معاني الإنجيل السّامية، وما تنادي به الأديان السّماويّة عامّة، لما وصلوا جميعا الى ما وصلوا إليه، ولوفّروا عليهم وعلى بلادهم الكثير من الموت والدّمار، وبهذا المعنى نقول:" الويل لنا لأنّنا خطئنا."

اخوتي! نحن في الزّمن المقبول، وفي أيّام الحياة، في أسبوع الآلام، أنة دعوة لنتلاقى ونغفر ونعترف بخطايانا، فيسرع السّلام صوبنا، وإذ استنفدنا كلّ الوسائل، فلم تنجح، لنجرّب المصالحة مع الذّات ومع القريب ومع اللّه، لنجرّب هذه الوسيلة الوحيدة، التي علّمناها يسوع، وقداسة البابا، وتسعى إليها بكركي، فوجه المسيح الدّامي، يدعونا لنمسح العرق المتساقط عنه، بندامتنا وتوبتنا واعترافنا بخطايانا، فالكاهن كلّ ليلة بمنبر الاعتراف، ينتظر مجدليّة جديدة، تمسح بشعرها قدمي يسوع الفادي، وبطرس جديد، يبكي خطاياه، كلّما صاح الدّيك، وبعد! أليس هو اللّه الرّحوم الحنون المحبّ البشر، من قال لنا:" اطلبوا تجدوا، اسألوا تعطوا، اقرعوا يفتح لكم."

ربّي بحقّ دم ابنك المسفوك لفدائنا، عرّفنا الطّريق المؤدّية إليك، حتّى نكون حجرا صغيرا في بناء ملكوتك. آمين.

العظة السّابعة، يوم أحد الفصح، للرّياضة الثّانية.

صلاة:

ربّي! في خاتمة الرّياضة هذه، جدّدنا روحيّا، لنشهد للإنجيل بصدق واخلاص، ولنكتشف جذور إيماننا، النّابعة من تراثنا، فنعيد بناء مجتمع إنساني جدير بدعوة لبنان التّاريخيّة، فنستعيد المحبّة المنقوصة، والسّلام المفقود، والحرّيّة والكرامة والحقوق المبتورة، وعند ذلك نستحقّ، أن ننهض معك، لمجد القيامة، يا من أنت وحدك، القيامة والحياة.

"المسيح قام . حقّا قام"

تأكيدا على قيامة الربّ، نحيّي في صباح هذا العيد المجيد، بعضنا بعضا، "المسيح قام . حقّا قام". إنّها العقيدة، التي تستقطب كلّ عقائد مسيحيّتنا، فالمسيح قام منتصرا، على الخطيئة والموت، وقيامته عربون قيامتنا، ورجائنا بالعالم الآخر مع اللّه، كما نردّد في خاتمة فعل إيماننا، قائلين:" ونترجّى قيامة الموتى والحياة في الدّهر العتيد.آمين.

انتصر المسيح بقيامته، على الموت والجحيم والعالم الشرّير، وخيّب آمال الذين صلبوه ودفنوه، فانقلبت أحزان يوم الجمعة العظيمة الى أفراح.

يـوم بـدأ الـدّين المسـيحي بالانتشـار، قامـت علـى أتباعـه قـوّات الجحـيم، متمثّلـة بـأعوانهم، مـن رؤسـاء وملـوك وكفّـار، فسـفكت دمـاء عشـرين مليونـا، في عهـد نـيرون وما بعده، بدءا باسطفانوس أوّل الشّهداء، الذي قتلوه رجما.

بعد موت نابوليون، لم يمت أحد في سبيله.

ولم يمت أحد كرمى هنّيبعل بعد اندحاره.

ولم يضحّ أحد بنفسه، بعد اغتيال القيصر.

فقـط بعـد قيامـة المسـيح مـن المـوت، مـات الملايـين في سـبيله، ولا تـزال قوافـل شـهداء المسيحيّة، تموت إكراما لمن مات وفدانا.

مـا زلنـا نقـدّم شـهداء إيمـان، في بلادنـا بـين الحـين والآخـر، إيمانـا منّـا بالإنسـان والأرض والقـيم والحرّيّـة ، وعسـى أن يكـون الـدّم المـراق هـذا، مطهّـرا لهـذا الـوطن وفداء.

"لسـنا نحـن الأحيـاء، بـل المسـيح حـيّ فينـا، ونحـن نحيـا بإيمـان ابـن اللّـه" هـذا مـا قالـه بـولس الرّسـول، وهـو يعـني المسـيح القـائم مـن المـوت ، والبـاقي معنـا، حـتّى انقضـاء الـدّهر، ومـع ذلـك كثـيرا مـا نضـيّعه نحـن المـؤمنين بـه، كمـا ضـيّعه بطـرس، يـوم أنكـره ثـلاث مـرّات، ويـوم تركـه مـار يوحنّـا وهـرب أثنـاء تسـليمه، وكمـا أضـاعته العـذراء ويوسـف مربّيـه، بـين أورشـليم والنّاصـرة، يـوم ذهابهمـا الى الهيكـل، كمـا مـن الممكـن كـلّ وقـت أن نضـيّعه نحـن، ولا عجـب في ذلـك، فالمسـيح الـذي هـو الأمـس واليـوم والى الأبـد، هـو الحاضـر الغائـب، والقريـب البعيـد، وكلّمـا ارتـدّينا الى الـوراء، أو هربنـا الى الأمام، لنهرب منه، كلّما مشى هو لملاقاتنا.

القيامة هي شخص المسيح بالذّات، لا حدثا تاريخيّا فقط صار في الزّمن، ومضى عليه، عشرون جيلا؛ قيامته موضوع إيماننا، وكما بدأت هذه القيامة في حياة الرّسل بعد العنصرة، تبدأ اليوم وكلّ يوم في حياتنا، بقوّة الرّوح القدس.

في مثل هذا اليوم انتصر الحقّ، فخشبة الصّليب نور، وظلام القبر فجر وعهد جديد وقيامة مجيدة لكلّ من حمل الصّليب، وسار وراء المسيح.

2000 سنة مضت، ودموع المؤمنين لم تجفّ على موت حمل اللّه الحامل خطايانا، وعلى الدّم المراق لفدائنا، لأنّ موت المسيح، مأساة اله نزل من السّماء وتجسّد وتألّم ومات وقبر وقام في اليوم الثّالث كما جاء في الكتب.

وطأ المسيح الموت، فانفتحت أمامنا أبواب النّعيم، لندخل وراءه الى الملكوت، عبر من الموت الى حياة القيامة، بحيث لو لم يقم لكنّا أشقى العالمين، وهذه القيامة أعطت معنى لآلامنا وصلباننا اليوميّة، فتحوّل حزننا الى فرح، رغم الموت المحيق بنا والخسارة والمرض والمآسي المتنوّعة.

ينتظر عالم اليوم الخلاص، من القوّة والسّياسة والمال والسّلطة ، كما انتظر لبنان من الحرب، وكانت النّتيجة، الخراب والدّمار والموت وقبض الرّيح.

على كلّ مؤمن اليوم في عيد الفصح هذا، أن يتوب فيعترف ويتناول ويفي فصحيّته، فيعبر مع المسيح إلى حياة جديدة، حياة النّعمة، وفرح الخلاص ويشترك في تطواف العيد، وراء القبر الفارغ، لأنّ عيد الفصح، فصح كلّ يوم أحد، وحياتنا مع الربّ عيد لا ينتهي، والمناسبة ليست ذكرى نعيّدها وتمضي، بانتهاء يوم العيد، بل نرجو تحقيق عيد الفصح، عند انتهاء حياتنا، على هذه الأرض.

مأساتنا نحن الشّعب اللّبناني، المنتشر والمشتّت والمشرّد، في القارّات الخمس، مأساة معلّمنا قبل القيامة، يوم الجمعة، مأساة التّلاميذ والرّسل، وشهداء الكنيسة عبر العصور، نشهد للحقّ، ونستشهد على طريق الجلجلة، وننتظر من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر، فتنتهي المأساة، وينتصر الحقّ، ويفيض نور القيامة.

فلنقم أيّها الاخوة، من موت الخطيئة، التي تبعدنا عن اللّه، ولنمارس الفضائل، ولنجاهد ضدّ الرّذائل، ولنتجنّب مواقع الشرّ والفساد، وتجارب الجسد والعالم والشّيطان، ولنتحصّن بالصّلاة والسّهر والصّوم، ولنخلع الإنسان العتيق، ولنلبس الجديد، ولا ندع الشّمس تغيب على غضبنا، ولا نترك لإبليس مكانا، ومن كان سارقا أو متكبّرا أو قاتلا أو زانيا أو مبغضا أو مجدّفا أو حاقدا أو فاترا، فليعترف قاصدا قصدا ثابتا أن لا يعود الى الخطيئة أبدا، راجيا أن يضمّد العيد جراح الحزانى، سيّما من فقدوا أعزّاءهم، أن يطهّرنا الربّ، ويحرق شفاهنا، بجمرة مقدّسة، فيحترق كلّ دنس فينا، وأن يغفر خطايانا، ويترك لنا زلاّتنا، ويخلّصنا من الأعداء الخفيّين والظّاهرين، وأن يبقي لنا لبنان وطنا، آمنا حرّا مستقلاّ، وأن يلقي

السّلام فيه وفي بنيه، وهنا وفي العالم، وأن نعود يوما، وعساه قريبا، الى الوطن الأم ذاك بعد الغياب القسري، عودة النّسور لأوكارها، عودة الى أرض خضّبها شعبها، آباؤنا وجدودنا بدم الشّهادة، وأسلموها لنا لنعود فنسلّمها لبنينا بعدنا، رمز عزّة وكرامة.

وفيما نكرّر لكم أيّها الاخوة والأخوات الأعزّاء، تهانينا بالعيد المجيد، نسأله تعالى أن يمنحكم غزير نعمه وفيض بركاته، فيشعّ عليكم نور القيامة، ويثبّتكم في الإيمان والرّجاء والمحبّة، لتقووا على التّسامح والغفران، وتعيشوا العيش الهني، المشمول برضى الربّ، وبركة شفيع كنيستكم، وصلاة العذراء القدّيسة. آمين

والآن فلنقف خاشعين، ولنتل فعل النّدامة، لاعطائكم الحلّة الشّرطيّة، ومنحكم الغفران الكامل.

الفهرس

كتاب المواعظ الأوّل 2
والرّياضة الرّوحيّة الأولى والثّانية: 2
مواضيع الرّياضة الأولى: مواضيع الرّياضة الثّانية: 2
كتب المؤلّف المطبوعة: 3
كتب للمؤلّف تحت الطّبع: 3
Software: Microsoft Word Arabic 4
المقدّمة 5
صلاة كاهن رعيّة من أجل رعيّته 7
الفصل الأوّل 9
عظات في وصايا اللّه العشر 9
الوصيّة الأولى: "أنا هو الرب إلهك، لا يكن لك اله غيري." 9
الوصيّة الثّانية: "لا تحلف باسم اللّه بالباطل." 11
الوصيّة الثّالثة: "احفظ يوم الرب (أي أيّام الآحاد والأعياد)." 13
الوصيّة الرّابعة: "كرم أباك وأمّك فيطول عمرك." 15
الوصيّة الخامسة: "لا تقتل." 18
الوصيّة السادسة: " لا تزن." 20
الوصيّة السّابعة: "لا تسرق." 23
الوصيّة الثّامنة: "لا تشهد بالزّور." 25

الوصيّة التّاسعة: "لا تشته امرأة قريبك." 27
الوصيّة العاشرة: "لا تشته مقتنى غيرك." 29
الفصل الثاني 31
وصايا الكنيسة السبع 31
الوصيّة الأولى: " اسمع القدّاس أيّام الآحاد والأعياد المأمورة ". 31
الوصيّة الثّانية: " صم الصّوم الكبير وسائر الأصوام المفروضة ." 33
الوصيّة الثّالثة: "انقطع عن الزّفر يوم الجمعة." 36
الوصيّة الرّابعة: "اعترف بخطاياك للكاهن قلّما يكون مرّة في السّنة." 38
الوصيّة الخامسة: "تناول القربان المقدّس قلّما يكون في عيد الفصح." 43
الوصيّة السّادسة: "أوف البركة أي العشر " 47
الوصيّة السّابعة: "امتنع عن إكليل العرس في الأزمنة المحرّمة." 49
الفصل الثّالث 51
اسرار الكنيسة السّبعة 51
السرّ الأوّل: "المعموديّة " 51
السرّ الثّاني: "التّثبيت." 53
السرّ الثّالث: "سرّ التّوبة والاعتراف." 56

السرّ الرّابع: "سرّ القربان الأقدس." 58
السرّ الخامس: "الكهنوت." 60
السرّ السّادس: "الزّواج." 62
السرّ السّابع: "سرّ مسحة المرضى." 65
الفصل الرّابع 67
الأسرار الإلهيّة الثّلاثة 67
أوّلا: "سرّ الثّالوث الأقدس." 67
ثانيا: "سرّ التجسّد." 69
ثالثا: "الفداء." 71
الفصل الخامس 73
الفضائل الإلهية الثّلاث 73
أوّلا: "الإيمان." 73
ثانيا: "الرّجاء." 75
ثالثا: المحبّة 78
عواقب الإنسان الأربع 80
أوّلا: "الموت." 80
ثانيا: "الدّينونة." 86
ثالثا: "الجحيم." 88

رابعا: "النعيم أو السّماء." 90
رياضتان روحيّتان..... 92
مقدّمة: 92
الرّياضة الأسبوعيّة الأولى، لأسبوع الآلام: 94
موضوع نهار الاثنين: "وصعد وحده إلى الجبل يصلّي." 94
موضوع نهار الثلاثاء: "إنّ أجسادكم هي هياكل الروح القدس." ... 102
موضوع نهار الأربعاء: إن لم تتوبوا تهلكوا جميعكم..... 107
يوم الخميس: "احفظ يوم الرب." 113
عظة الجمعة من أسبوع الآلام..... 120
الموضوع السّادس ليوم السّبت: "محبّة اللّه.." 128
الموضوع السّابع والأخير، ليوم أحد القيامة، خاتمة الرّياضة الأولى. ... 137
المسيح قام، حقّا قام. 137
كلمة وداع: 141
الرّياضة الثّانية لأسبوع الآلام. 143
الموضوع الأوّل ليوم الاثنين من أسبوع الآلام: 145
"اعملوا عمل خلاصكم بخوف ورعدة." 145
الموضوع الثّاني ليوم الثلاثاء، من أسبوع الآلام. 152

" إن شئت دخول الحياة، فاحفظ الوصايا." 152
الموضوع الثّالث ليوم الأربعاء، من أسبوع الآلام: "أهرب من الخطيئة، هربك من الحيّة." 162
العظة الرّابعة ليوم الخميس من أسبوع الآلام. 169
الموضوع:" جسدي مأكل حقّا ودمي مشرب حقّا." 169
العظة الخامسة، في يوم الجمعة من أسبوع الآلام، للرّياضة الثّانية. 174
"احمل صليبك واتبعني." 175
الموضوع السّادس يوم سبت الآلام، للرّياضة الثّانية. 182
"ما جئت لأدعو الأبرار، بل الخطاة الى التّوبة." 182
العظة السّابعة، يوم أحد الفصح، للرّياضة الثّانية. 186
"المسيح قام ـ حقّا قام" 186